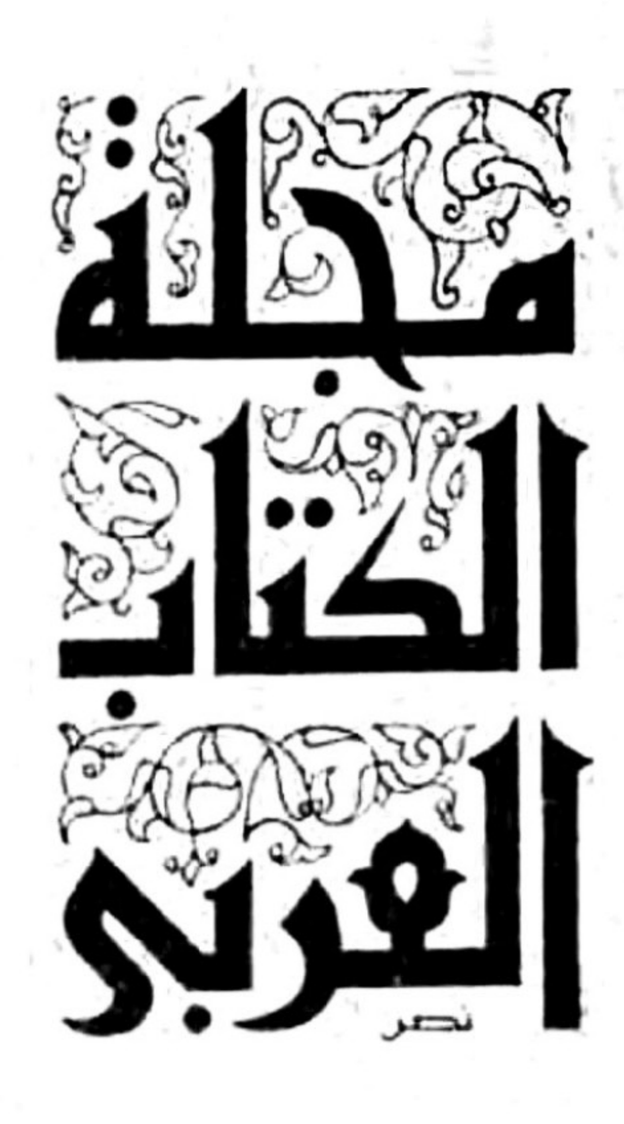
الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر





الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر







العدد الثانى ١٠ يوليه ١٩٦٤ - أول ربيع الأول ١٣٨٤

فى هذا العدد

•

رئيس التحرير
على أدهم

•

تصدر عن الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الواجبات والحقوق

تأليف : ماتزيني

من مأثور القول ان الانسان اذا طلب الافكار الجديدة فعليه بقراءة الكتب القديمة ، وانه اذا التمس الافكار القديمة فعليه بقراءة الكتب الحديثة ، وليس أدل على صدق هذا القول المأثور من كتاب « واجبات الانسان » الذى كتبه الزعيم الوطنى الايطالى جوزيبى ماتزينى منذ مائة سنة ونيف وصدره بنداء الى العمال الايطاليين يقول فى مطلعه(١) اريد أن اتحدث اليكم عن واجباتكم بما يمليه على قلبى — عن اقدس الأشياء التى نعرفها ، عن الله ... الانسانية .. الوطن ... الأسرة ، أعيرونى اسماعكم بحب واخلاص ، كما احدثكم وأنا احبكم واخلص لكم القول ، ان ما اسوقه اليكم من حديث اقتنعت به بعد تفكير استغرق سنين طويلة قضيتها فى مرارة الألم والتبصر والبحث ، اننى أحاول وسأظل احاول تادية الواجبات التى سأذكرها لكم ، سأحاول ذلك مادمت حيا وبكل ما تسمح به قواى ، ومن الممكن ان أخطىء ، ولكنه لن يكون خطأ القلب ، وقد انخدع ولكنى لن اخدعكم ، فاستمعوا الى كما يستمع الأخ لأخيه ، ثم احكموا على أقوالى فيما بينكم وبين انفسكم بكامل حريتكم ، فكروا فيما اقول وعلى هو الحقيقة ، وتخلوا عنى اذا بدا لكم فيه وجه الخطأ ، ولكن سيروا معى ، واعملوا بتعاليمى اذا ما وجدتم اننى رسول من رسل الحق . ان الخطأ كارثة يبكيها الانسان ويرثى لها ، ولكن معرفة الحقيقة وعدم التوفيق بينها وبين العمل انما هو جريمة تحرمها القوانين والشرائع الوضعية » .

وقد بين ماتزينى فى هذا الكتاب القيم واجبات الانسان نحو الله والقانون وواجباته نحو الانسانية والوطن والاسرة ، وواجباته نحو نفسه ونحو الحريه والتربية ببلاغته المعهودة ومنطقه الواضح المتماسك وحماسته المشبوبة التى لم تطفىء وقدتها ما تعرض له من الهزائم وخيبة الأمل وما انتابه من الشكوك المؤلمة والأزمات النفسية الحادة ، ومس فيه مسا رقيقا علاقه الواجبات بالحقوق وان علينا ان نعرف الواجبات التى نفرضها علينا انسانيتنا قبل المطالبة بالحقوق ، وأشار الى المثل العليا الاخلاقية والسياسة التى كانت تلهم رسالته السياسية الثورية ، وقد حذر فيه العمال من الانغماس فى النزعة المادية والأخذ بالمبادىء المكيافلية وفرط الاهتمام بطيبات الدنيا والاسراف فى طلب المنافع والفوائد ، ومع تاكيده لأهمية المسائل الاقتصادية اوصى العمال بعدم جعلها مسيطرة على القيم العليا للحياة ، وانتقد الفلسفة النفعية لأنها تتجاهل أن الانسان لايعيش بالخبز وحده .

ولكن لماذا رأى ماتزينى ان يتحدث الى العمال عن واجباتهم قبل أن يتحدث اليهم عن حقوقهم؟ انه يقول لهم(١) فى المجتمع الذى يضطهدكم فيه الجميع برغبتهم أو بغير رغبتهم والذى يمتنع عليكم فيه ممارسة الحقوق الخاصة بالانسان ، والذى فيه البؤس نصيبكم ، وما يسمى السعادة نصيب غيركم من طبقات الناس ، لماذا احدثكم فى مثل هذا المجتمع عن التضحية بالنفس بدلا من أن احدثكم عن الغلبة والانتصار ، واحدثكم عن الفضيلة والاصلاح الاخلاقى والتربية بدلا من ان احدثكم عن العيش اللين والرغد المادى ؟ هذه مسألة يجب على أن أجيب عنها لأوضح الفرق

(١) ص ١١ من كتاب واجبات الانسان ترجمة طه فوزى وسامى محفوظ .

(١) نقلت هذا الجزء ‏ء الترجمة لكتاب واجبات الانسان ، ولم اجده فى ترجمة الأديبين طه فوزى وسامى محفوظ المنقولة من الايطالية مباشرة .

ترجمة : طه فوزى وسامى محفوظ
مراجعة : حسن محمود

الناشر : دار الكرنك
بالاشتراك مع الالف كتاب
١٧٢ صفحة قطع كبير

بين مدرستنا وغيرها من المدارس التى يبشر بها فى اوروبا ، ولأنها ـ علاوة على ذلك ـ مسالة سرعان ما تظهر فى تفكير عقل العامل النسقى الغاضب » ٠

ويستطرد قائلا بلسان حال العمال(١) نحن فقراء مستعبدون متعوسون ، تحدثنا عن احوال مادية احسن من أحوالنا وعن الحرية والسعادة ، وقل لنا هل قضى علينا بالشقاء الابدى ، أو هل نحظى بالسعادة نحن كذلك ؟ بشر بالواجب لسادتنا وللطبقات الأعلى منا التى تعاملنا كأننا آلات ونحتكر النعم والخيرات التى هى من حق الجميع ، حدثنا عن الحقوق ، وحدثنا عن طريقة الدفاع عنها وحدثنا عن قوتنا ، وانظر حتى يكون لنا كياننا المعترف به ، وحدثنا بعد ذلك عن الواجبات والتضحية » ٠

ويتبع ذلك ماتزينى بقوله(٢) هذا ما يقوله الكثيرون من عمالنا ، وهم يتبعون أساتذة وجماعات تستجيب لرغباتهم، وهم ينسون شيئا واحدا ليس غير ، وهذا الشىء هو ان هذه النظرية التى يثيرونها قد بشر بها ودعى لها خلال خمسين السنة الأخيرة ولم يسفر ذلك عن اقل تحسين فى أحوال العمال المادية » ٠

ويستطرد ماتزينى فى الحديث ويوضح ان الثورة الفرنسية قامت على المطالبة بالحرية وحقوق الانسان ، وان الثورات التى تلتها أيدت اعلان حقوق الانسان وأكدتها واستكملتها ، فعرف كل فرد حقوقه وأصر عليها واستمسك بها ، وكانت هذه الثورات تطالب بالحرية لأن الحرية هى الوسيلة الى الحياة الطيبة والمعيشة السعيدة الراضية ، وكانت كل المذاهب الثورية تبشر بأن الانسان قد ولد للسعادة وأن من حقه ان يعمل على نيل السعادة ويتوسل الى ذلك بكل وسيلة ممكنة ، وانه ليس من حق اى انسان أن يعترض سبيله ، وأن من حقه أن يزيل كل العقبات التى تقوم فى طريقه ، وقد استطاع الانسان ان يقهر العقبات ويظفر بالحرية ، وقد ظلت الحرية سنوات عدة فى مواطن جمة ومازالت فى بعض تلك المواطن، ولكن هل تحسنت أحوال الناس ؟ وهل ظفر الملايين من الكادحين بما كانوا يؤملون من العيش اللين والنعيم الموعود ؟ كلا بل ازدادت أحوالهم سوءا فارتفعت اسعار الحاجيات وهبطت أجور العمال وتكاثرت الازمات وتوالت الهجرات ، فلماذا لم تحسن نظريه حقوق الانسان الاحوال ولم توزع الانتاج توزيعا عادلا لامنساويا بدلا من أن يظل فى أيدى القلة لا فى أيدى الكثرة الكاثرة ؟ ولماذا لم يؤد تقدم الصناعة والتجارة الى تحسين أحوال الكثرة وانما ادى الى رخاء القلة وترفها ؟

الجواب عند ماتزينى واضح لمن أراد أن يبصر ويتدبر ، فالناس كما تكونهم التربية ، وهم يعملون حسب المبادىء التى يتلقونها ، فقد قامت الثورة الفرنسية والثورات التى تلتها فى رأى ماتزينى على المطالبة بحقوق الانسان وظفرت بحرية الفرد ، ولكن ماقيمة هذه الحرية لمن لايستطيع ممارستها ؟ وماذا تجدى حريه التعليم لمن لايجد متسعا من وقته للتعلم ؟ وماذا تنفع حرية التجارة لمن لا يملك شيئا ليتجر به ؟

وفى شتى الامم التى أعلنت فيها حقوق الانسان كان المجتمع مكونا من افراد قلائل يملكون الارض ويحوزون رؤوس الأموال وأكثرية ساحقة لا تملك شيئا فهى مضطرة ومرغمة على أن تخدم تلك الفئة القليله بالشروط التى تمليها عليها هذه الفئة المسيطرة لكى تعيش ، وافراد هذه الكثرة الساحقة يقضون حياتهم فى العمل الممل الرتيب ، فما قيمة الحرية لهؤلاء الذين يجاهدون ويكدحون فى سبيل الحصول على لقمة الخبز لسد نهمة الجوع ؟

كان لابد من تقليل ساعات العمل وتحسين

---

(١) هذا الجزء نقلته من الترجمة الانجليزية ٠
(٢) هذا الجزء نقلته عن الترجمة الانجليزية ٠

أحوال هؤلاء العمال لتصبح الحريه لها قيمة .
ولكن لماذا يقوم الأفراد القلائل أصحاب الثروات الطائلة والجاه العريض بذلك ؟ أليس العيش الناعم هو أسمى مطالب الحياة ؟ أليست النعم المادية مفضلة على كل شيء ؟ فلماذا يقللون من أسباب استمتاعهم من أجل الفقراء والمحتاجين؟ ليحاول كل انسان أن يعمل لنفسه فالمجتمع قد ضمن الحرية لافراده ، تلك الحرية اللازمة للطبيعة البشرية ، فاذا كان هناك من عاقته ظروف حياته عن الانتفاع بهذه الحرية الممنوحة له فليرض بما قسم له ولا يلومن غيره من الناس .

واصبح موقف الأغنياء الميسورين ازاء الفقراء المعسورين هو الموقف الذى يقفه كل فرد فى المجتمع من غيره من الأفراد ، فكل انسان يسعى لنيل حقوقه ويعمل على تحسين احواله دون أن يفكر فى غيره ، وحينما تتصادم الحقوق تقع المعركة ، وكانها معركة لاتراق فيها دماء لأنها معركة ختل ودهاء ، وهى معركة أقل رجولة ولكنها ليست اقل فتكا وتدميرا ، ينتصر فيها الاقوياء بعتادهم المهيا ويسحقون الضعفاء ، وقد دربت هذه الحرب الناس على الأثرة والشره المادى ، وقضت حرية الاعتقاد على عقيدة الجماعة كما أوجدت حرية التعليم الفوضى الاخلاقيه وأصبح الناس لا رابطة تربط بعضهم بالبعض الآخر ولا جامعة تجمعهم ولا هدف يؤلف بين قلوبهم ويضم شملهم الشتيت ، ومادام كل انسان ينشد المتعة ويجرى وراء مصلحته الخاصة فهو لا يبالى بغيره من الناس ولا يتورع عن وطئهم بالاقدام فى سبيل الوصول الى اغراضه ، فالناس اخوان فى الظاهر واعداء فى الواقع ، وهذا فى رأى ماتزينى سببه التعلق بفكرة «حقوق الانسان» واهدار فكرة معرفة الواجبات المفروضة عليه .

ويقول ماتزينى ان الحقوق موجودة من غير شك ، ولكن حينما يصطدم حق بحق فكيف توفق بين الاثنين دون الرجوع الى شيء أسمى من الحقوق كلها ؟ وحينما يصطدم حق فرد من الافراد أو حقوق أفراد كثيرين بحقوق الوطن فالى أى محكمة تحتكم ؟ واذا كان حق الظفر بالعيش الرغد يخص كل انسان فمن الذى يفض الخلاف بين الصانع وصاحب المصنع ؟ واذا كان حق الوجود هو الحق الأول لكل انسان فمن الذى يطالب بالتضحية بهذا الحق من أجل الناس ؟ وهل نطالب به باسم الوطن أو باسم المجتمع أو باسم اخواننا البشر ؟ وماهو الوطن فى رأى أصحاب فكرة حق الانسان ؟ انه المكان الذى نضمن فيه حقوقنا الفردية ، وليس المجتمع بموجب ذلك سوى مجموع افراد قد اتفقوا على التساند لتحصيل الحقوق الفردية ، فكيف نطلب الى المجتمع بعد ذلك التضحية بهذه الحقوق ؟ وبعد ان ظللنا نتحدث السنوات الطويلة عن المصالح المادية كيف نطلب الى الافراد الاعراض عنها والزهد فيها ؟

والثورات التى تلت الثورة الفرنسية كانت كلها ترمى الى تأكيد الحقوق لا الى الاعتقاد بالواجبات ، ولقد جاهد الناس فيها باسم المطالبة بتحسين الاحوال ورفع مستوى الحياة وحرية التفكير ونيل المناصب السامية وتمكين الاكفاء من الوصول اليها ، ولكن بعد أن ظفر الناس بالحقوق المطلوبة وتيسرت لهم السبل الى المناصب واخذوا حظهم من العيش الرافه وتقلبوا فى أعطاف النعمة بعد الضيق والحرمان نسى الظافرون منهم امر الشعب ولم يشغلوا انفسهم بالتفكير فيه ، وهم ليسوا خونة ، وانما النظرية التى تبعوها هى الخائنة الغادرة !

والذى يؤمن بنظرية الحقوق وحدها كيف يعمل للغاية المشتركة والهدف العام ؟ وكيف يحمل نفسه على انماء الفكرة الاجتماعية ؟ واذا استمسك انسان بنظرية الحقوق وأبى مناصرة اخوانه البشر فهل من حق الاغلبيه ارغامه على خدمتها ورعاية مصالحها ؟ وبأى حق تعاقبه ؟ وكيف تثبت للفرد ان عليه اخضاع ارادته لارادة اخوانه العامة سواء اكانوا اخوانه فى الوطن او اخوانه فى الانسانية ؟ لاسبيل الى ذلك الا عن طريق السجن أو انزال العقوبة ، ولكن هذا حرب ونحن نريد السلم لا الطغيان ونحن نريد التربية والتهذيب .

ونظرية الحقوق تمكننا من ان ننهض ونكتسح العقبات ولكنها لا تمكننا من توحيد العناصر وتقوية الروابط ، والاقتصار على طلب المعيشة

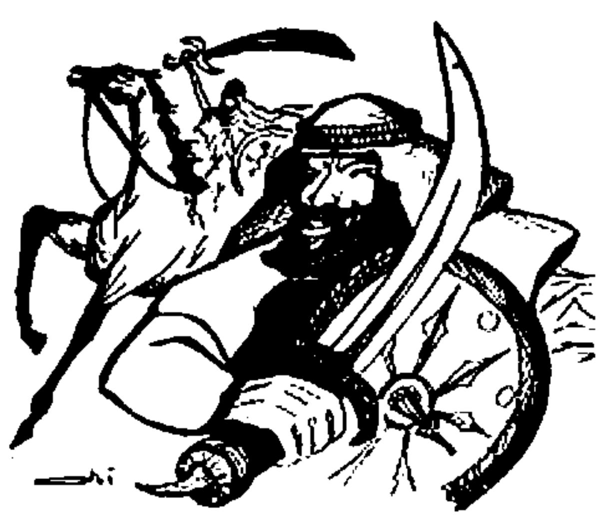
الليئة ينشيء رجالا أشرين يعبدون المادة ، والنظرية الاسمى من ذلك التى ترشد الناس الى سبيل اقوم وتعلمهم الاستمرار فى التضحية وتقوى أواصر القربى بين البشر هى نظرية الواجب ، ويقتضى الواجب الا يعيش الانسان لنفسه وحدها وانما يعيش كذلك للغير ، وليس هدف الحياة ان يوفر كل فرد السعادة لنفسه فحسب وانما هدفها هو ان يعمل على توفير السعادة لاخوانه البشر ، فيحارب الباطل ويقر الحق ويدفع الظلم من اجلهم ، وليس معنى ذلك ان يهدر حقوقه وانما معنى ذلك ان الحقوق لا توجد الا نتيجه لواجبات تقوم بها ، وان علينا ان نبدا بالواجبات لنصل الى الحقوق ! وليس معنى ذلك الزهد فى المطالب المادية ، وانما معناه اتخاذها وسيلة لاغاية فماتزينى اذن يدعو الى معرفة الواجبات قبل المطالبة بالحقوق ٠

وقد تاثر ماتزينى فى آرائه الاجتماعية بالمفكرين الاشتراكيين الفرنسيين وبخاصة مدرسة سانت سيمون ، ولكن الحوادث اتجهت اتجاها آخر ، وفى الدولية الاولى سادت آراء ماركس وآراء باكونين ، ولم يكن ماتزينى الرجل الذى يغتنم الفرصة ويعدل آراءه مجاراة للظروف ولذلك فقد فى المرحلة الاخيرة من حياته الكثير من أنصاره ، وقد لقى ماركس وباكونين فى ابان انعقاد الدوليـة الاولى ، ولكن سرعان ما ظهر اختلاف وجهات النظر بينه وبين اتجاهات الزعيمين الشهيرين ، ولم يسترح ماتزينى لفكرة حرب الطبقات التى نادى بها ماركس ، وظل حريصا على رسالته القومية الدينية ، وكان ماتزينى يفضل النظام الاشتراكى الذى تتولى فيه الدولة شؤون الصناعات الاساسية وتترك سائر وسائل الانتاج فى أيدى شركات تملك راس المال والارض وتضمن لاعضائها اجورا تكفى لسد حاجاتهم ويوزع فائض راس المال على حسب نوع الخدمة التى تؤدى ، وكان أهم ما يستاثر بجهد ماتزينى هو توطيد النظام الجمهورى على أساس الوحدة القومية ، وقد اخذ عليه بحق انه لم يقرن الثورة التحررية بالثورة على النظام الاقطاعى الذى كان يسود ايطاليا فى أثناء حياته، وتمتاز نزعة ماتزينى القومية بانها نزعة قومية انسانية تنشد السلام والاخاء والحرية ، فهى ليست نزعة عدوانية مثل بعض النزعات القومية عند غيره من دعاة القومية ، وقد كان ماتزينى مثاليا فى نبل حياته واستقامة تفكيره ، وكان مرهوب السطوة من الطغاة والمستبدين فى عصره ، قال عنه الوزير الرجعى الخطير مترنخ ، طوع يدى ورهن اشارتى جيوش متحدة حاربت بشجاعة برغم كونها مكونه من شعوب مختلفة، وقد استطعت ان أقرب الأسباب بينى وبين الملوك والاباطرة والسلاطين ، ولم يستطع شيء ولا انسان ان يقيم فى طريقى صعوبات اشد من الصعوبات التى خلقها لى هذا الشيطان الايطالى النحيف الهزيل الشاحب الوجه الفقير والذى أوتى بلاغة العاصفة المدوية وقدرة اللص وعدم ياس المحب الولهان وباختصار أقصد هذا الماتزينى ، وهى من غير شك شهادة بالفضل وعظم المكانة من كبير الرجعيين فى عصره لرائد من اعظم رواد الاستنارة والتحرير والاصلاح الذين عرفهم العالم ، ولكل عصر مشكلاته الخاصة التى يقدم لها مفكروه الحلول المختلفة ، وقد تختلف مشكلات عصرنا عن مشكلات عصر ماتزينى فى الشكل أو فى الجوهر ، ومهما يكن من الامر فان الحلول التى يقدمها رجال من طراز ماتزينى لمشكلات عصورهم جديرة بأن تدرسها ونفيد منها ، وخليقه بأن تلقى ضوءا على المشكلات التى يواجهها عصرنا ومجتمعنا ، ومن حق الاديبين اللذين قاما بنقل هذا الأثر النفيس من اللغة الايطالية الى اللغة العربيه الشكر والتقدير لاختيارهما الحسن ومابذلا من جهد ٠

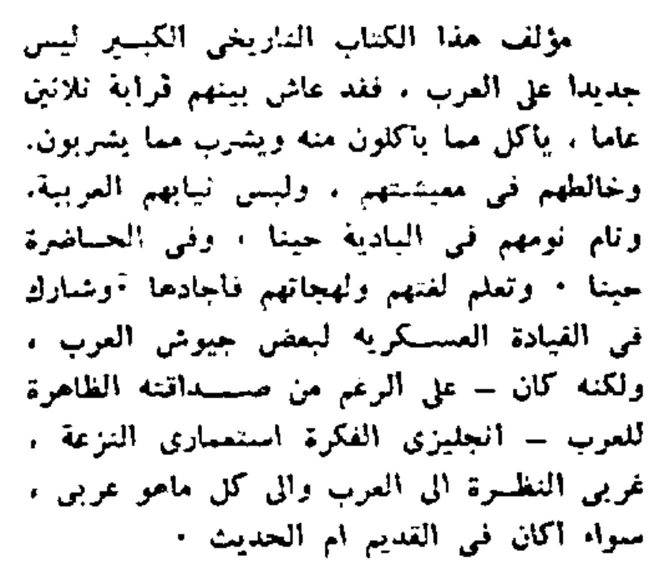
على أدهم

الفتوحات العربيّة الكبرى

تأليف : جون باجوت جلوب
تعريب وتعليق : خيري حماد



٥٧٠ صفحة – من القطع الكبير ث ٦٥ قرشا



مؤلف هذا الكتاب التاريخي الكبير ليس جديدا على العرب ، فقد عاش بينهم قرابة ثلاثين عاما ، يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون. وخالطهم في معيشتهم ، ولبس ثيابهم العربية. ونام نومهم في البادية حينا ، وفي الحاضرة حينا . وتعلم لغتهم ولهجاتهم فاجادها . وشارك في القيادة العسكرية لبعض جيوش العرب ، ولكنه كان – على الرغم من صداقته الظاهرة للعرب – انجليزي الفكرة استعماري النزعة ، غربي النظرة الى العرب والى كل ماهو عربي ، سواء أكان في القديم ام الحديث .

ولم تنقطع صلة الرجل بالعرب منذ ارغم على ترك بقعة من ارض العرب عاش فيها ذلك الزمان كله ، فترك العصر الحديث ومشكلاته وتياراته القوميه التى اجترفت أمامها كالسيل كل مكابر ، وراح يتلفت وراءه الى تاريخ العرب في القديم ، مدفوعا بما كان للعرب من امجاد في التاريخ ، ومتأثرا قول هيرودوت ابي التاريخ: « على الزمن الا يمحو الماضي من تاريخ الانسانية، وعلينا ألا ننكر على الأعمال العظيمة الرائعة حقها في الشهرة » .

على ان انبهار الرجل بتاريخ العرب القديم وبامجادهم العظيمة الماضية لم يغلب على الروح الاستعمارية فيه ، ولم ينزع مافي صدره من غل للعرب المحدثين ، لانهم كشفوا خبيئته ، وعرفوا حقيقته ، فلما راح يؤرخ للفتوحات العربية الكبرى ، ويؤرخ للتاريخ العربي الاسلامي الذى ادار محمد عليه السلام قيادته ، وحدد وجهته، ويؤرخ لغزوات محمد ، وتمكينات أبي بكر ، وفتوح عمر ، واسطول معاويه ... لما راح يفعل ذلك في هذا المجلد الضخم المتلاطم الامواج ، غلبته نزعته الاستعمارية ، وطبيعته الأجنبية ، فراح يخلط بين غث وسمين ، ويمزج في الاخبار والروايات بين صحيح وعليل ، وقد يميل الى الواهن من الآراء والمتهافت من الافكار اذا كان في ذلك ارضاء لنزعته ، واشباع لشهوته ... وقد يفر من اجماع التاريخ ، الى الرأى المفرد او الى خبر الواحد اذا كان في ذلك نقص من قدر العرب أو تهوين لشأنهم أو غمز في كيانهم.

والحق ان الرجل – لكى يخرج هذا العمل التاريخي الضخم – رجع الى كثرة من المراجع والمصادر العربية وغير العربية ، وقرأ كثيرا حول السيرة والرسول والخلفاء الراشدين والفتوح ، وافاد من كل ذلك في تكوين الهيكل الضخم لبحثه الواسع ، حتى جاء كتابه هذا موسوعة جامعة للتاريخ العربي الاسلامي حتى بداية الدولة الاموية . وعلى الرغم مما افاده جلوب من المؤرخين العرب ومن تواريخهم ، فانه قد حمل في المقدمة عليهم واتهمهم بسوء التقدير ، وانعدام الدقة ، وقلة الاهتمام بالحقائق والارقام والعمليات العسكرية ، وفساد الفهم للمعارك والحملات الحربية التى يتحدثون عنها، وعدم التثبت من الاحداث ، وعدم الموازنة والمقابلة

الواعية بين الروايات المختلفة بل الاكتفاء بسردها كلها دون تمحيص لها ٠

ونسى الرجل فى غمار الاتهام ان المؤرخين الاولين من العرب – فى ظروف الامية العربية والتدوين والكتابة – كانوا جامعين للاخبار أكثر مما كانوا مؤرخين لها أو معلقين عليها ٠ ونسى الرجل كـــذلك ان تواريخ اليونان والرومان القديمه فيها كثير من هذا الذى عابه على العرب ، فلا تكاد تخرج من حادثة واحدة فيها بوجـــه صحيح ٠ ولكن جلوب الانجليزى عمى وصم عن سوءات التاريخ غير العربى وعن مآخذ المؤرخين غير العرب ، وكانه جرى فى هذا على المثل العربى القائل : « حبك الشيء يعمى ويصم » ٠

أما معرب هذا الكتاب فهو عربى كريم شارك فى اثراء المكتبة العربية الحديثة بتعريب طائفة من الكتب الأجنبية ٠ من امثال «الاصلاح الزراعى والانماء فى الشرق الاوسط » لدورين وارينر ، « كيف تفكر افريقيا » لابراهام ٠ و « الطريق الى السويس » لارسكين تشايلدرز و « يوميات جوبلز » لهلمت هايبر ، و « السياســـة بين أصـــدقائها واعدائهـــا » لبرنارد كبريـــك ، و « الراسمالية والاشـــتراكية والديمقراطية » لجوزيف شومبيز ، وغيرها مما ليس هنا مجـال حصره ٠

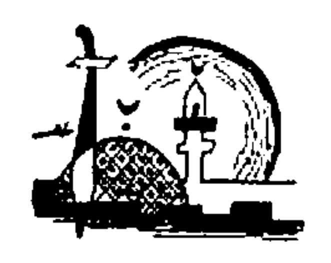
ومزية الاستاذ خيرى حمـــاد بين المعربين والنقلة المحدثين انه دقيق الترجمة ٠ كثير التعليق والتنقيب على مايعربه ، حتى لتزدحم صفحـات الكتب التى يترجمها بهذه التعليقات الكثيرة المفيدة المتناثرة هنا وهناك ٠ وبهذا يضيف الى فضـل الترجمة وعنائها فضلا وعناء آخر ...

وما وجدت فيما ترجم اخيرا من كتب الى اللغة العربية كتابا احتشدت فيه التعليقـــات والتعقيبات كما حدث فى كتـــاب « الفتوحات العربية الكبرى » ، فقد كان المعرب واقفا للمؤلف المؤرخ الانجليزى بالمرصاد ، يرده الى الصواب تارة ، ويصحح له الأوهام تارة ، ويكشـف عن سوء نيته فى معاداة العرب ثالثة ٠ ثم يتعقب مصادره ومراجعه ، حتى اقتضاه ذلك الرجوع الى كثرة كاثرة من مصادر التـــاريخ العربى الاسلامى ، مع ما تعلمه من شدة العناء فى البحث فيها ، وخلوها من الفهارس المتنوعة المســـعفة ، وما يتطلبه ذلك من جهد ووقت ومعاناة ومداومة على البحث والتنقير ٠



ويخيـــل الى ان المعرب يسىء الظن بالمؤلف الانجليزى حتى قبل أن ينهض بتعريب كتابه ٠ فقـد كان يظن ان الله فتح على جـلوب ببحث فى تاريخ العرب من الزاوية العسكريه ، وتحليل الأحداث هذا التاريخ ووقائعه وتفسيرها على ضوء معلوماته العسكرية وخبرته بالبلاد التى وقعت فيها هذه الاحداث ، أو لعل جلوب « قد عثر فى بعض الكتب الرومانية او البيزنطيه على اشياء نجهلها ٠ ادرجها فى كتابه ، وربط بينها وبين روايات التاريخ العربى ، ليخرج لنا من كل ذلك بشىء جديد) ٠ وبالطبع لم يجد المعرب فى الكتاب شيئا من هذا ٠ وانما وجد حوادث مستمدة من كتب التاريخ والسير العربية ، كابن هشـــام وتواريخ الطبرى والبلاذرى ومحمـد الخضرى (ولكن اهم مافى الكتاب هى المحاولة البارزة فى كل ناحية من نواحيه للتشويه والتضليل ورسم الصورة الزائفة التى تشـكك القـارىء فى الشخصيات العربية العظيمة ، ابتداء من النبى صلى الله عليه وسلم ٠ وانتهاء بصغار القادة) ٠

هذا هو راى المعرب فى كتاب جلوب اجمالا، ويضاف اليه أن كل مافى الكتاب من جـــدة : (هو الربط بين الأحداث وصوغ قصـــتها على اساس الانساق الزمنى ، مع بعض الاستنتاجات والآراء الخاصـــة التى لاتتطلب خبرة جنرال عسكرى ، أو عالم بفنون الحرب وخططها ، وانما يمكن أن يصل اليها كل باحث يتوخى فهم الأحداث وتفسيرها) ٠



ومن هذه الريبة المحيطة بنية المؤلف المتعصب كانت تعليقات المعرب الكثيرة ، وكانت وقفاته المديدة مع جلوب في كل مايوهم الغرض والهوى والحملة على العرب أو الغمز فيهم • وقد أحسن المعرب بهذه التعليقات أيما احسان : احسن بها الى قومه العرب ، واحسن بها الى الحق والحقيقة التاريخيه ، واحسن بها الى العلم الذى يجب أن يتجرد صاحبه من نوازع الهوى والتعصب •

وما أجمل احسان المعرب وهو يصحح خطا المؤلف المتكرر من أن أبا جهل هو عم النبى عليه السلام ، حتى لقد وضعه فى جدول نسب قريش بجوار حمزة والعباس وأبى طالب وعبد الله وأبى لهب وغيرهم من ابناء عبد المطلب ••• واوضح المعرب ان ابا جهل هو عمرو بن هشام من بنى عبد الدار لامن بنى هاشم بن عبد مناف • وقد تكرر هذا الخطا بضع مرات فى بضع صفحات• وصححه المعرب كل مرة ... وقد كان تصحيح المعرب لهذا الخطا فى شىء من الغيظ ، والحق انه لما يغيظ ان يخلط مؤرخ بين ابى جهل وأبى لهب ، ثم يزعم لنفسه العلم والدقة والمنهج العلمى، ويحمل فى الوقت نفســـه على مؤرخى العرب ويتهمهم بعدم الدقة وتحرى الصواب •

ومن احسان المعرب تصحيحه (صفحة ٦١) لما زعمه جلوب من اسم زيد بن عمرو بن نفيل العدوى ابن عم السيدة خديجة ، فقد ذكر أنه زيد بن الطفيل • فخلط بين نفيل وطفيل ، وهو وهم كبير ...

ومن احسان المعرب تصحيحه لعدد النفر من الخزرج الذين عرض النبى نفسه عليهم قبيل مؤامرة قريش على مقتله • فقــد ذكر جلوب (صفحه ٧٢) انهم سبعة من رجـــال يثرب ، فصححها المعرب بانهم ستة رجال لاسبعة • كما قالت كتب السيرة • والمعرب على حق ، فقـــد عدهم ابن هشام بضبط الحروف والعبارة ، وقال « ان عددهم ستة كما ذكر لى » ، ثم أخذ ابن هشام بعد ذلك يذكر أسماءهم واحدا واحداً ، واسماء آبائهم وأجدادهم وينسبهم الى قـــومهم (سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٨) • فلما جاء المرحوم الأستاذ محمد رضا يعدهم فى كتـــابه النفيس : « محمد – طبعة عيسى الحلبى » زاد عليهم ابا واحد منهم ، على سبيل التداخل فى الاسماء ، فكان بذلك عددهم سبعة مع أنهم ستة• ومن هذا المأتى انزلق جلوب الى هذا الخطا الذى يؤكد لى انه اعتمد على كتاب الأستاذ محمد رضا•

والحق أن حسنات المعرب فى هذا الكتاب كثـــيرة ، وخاصـــة فى رده على مزاعم المؤلف ومفترياته ومغامزه التى لاتقف عند حد • ففى صفحة ١١٦ يتهم أتباع النبى بالاغتيال واللجوء الى وسائل الارهاب • ويزعم أن النبى عليه السلام اوفد الى مكة رجلا لاغتيـــال أبى سفيان ولكن الخطة لم تنجح • ويناقشه المعرب فى هـــذا ويكشف عن حقده الدفين للاسلام واخفائه غدرات المشركين •

وفى صفحه ١٢٦ يجترىء المؤلف الانجليزى فى قحة فيزعم ان محمداً لم يكن فى الحقيقة قائدا عسكريا ذا مواهب عسكرية بالغة ... فيعقب المعرب على ذلك بكلام وجيز دقيق ، ولو شئنا او شاء المعرب أن يطيل لاشرنا الى كتاب «العبقرية العسكريه فى غزوات الرسول » للضابط محمد فرج ، فهو ثمين منصف فى هذا الموضوع •

وفى صفحة ١٢٩ يثير المؤلف الحقود شكوكا حول الرسل والرسائل التى بعث بها النبى عليه السلام الى الامراء والملوك • فلا يسكت الأستاذ خيرى حماد على هذه الجراة البـــاطلة ، ويعقب متسائلا عن عله التشكيك فى هذه الرسائل التى اجمعت كتب السيرة والتاريخ الاســلامى على وجودها ونقلت نصوصها • وأسماء الذين حملوها وسفروا بها ، وكيف استقبلها الملوك وردوا عليها. ويقول المعرب بعد تعليق طويل ممتع : (هل يمكن

لمؤرخ يدعي الموضوعية ان ينكرها الا اذا كان يريد المغالطه ويريد التشكيك فى صحة التاريخ الاسلامى ؟) .

وفى صفحة ١٥٠ يكرر المؤلف الحقود تلك النغمة المرذولة والشنشنة التى نعرفها من أخزم... من اتهام النبى بأنه كان مزواجا محبا للنساء... فيرد المعرب على هذه التهمة التى طالما استخدمها أعداء الاسلام للطعن فى نبيه ، وبهذا ينسحب الطعن الى الاسلام نفسه ، وهذا هو هدفهم الذى لايغفلون عنه ، وداؤهم الذى لايبرءون منه ...

وهكذا يمضى المعرب فى احسانه بردوده ودفاعه فى صفحات كثيرة (انظر على سبيل المثال ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢١٠ - ٢٣٤ - ٢٤٩ - ٢٩٢) .

على ان تحمس المعرب للرد على جلوب وتخطئته وتوهين كلامه قد جره بعض الحين الى ان يعارض المؤلف دون ان يكون بين يديه دعامة من دليل ، او سند من حجة ، حتى لقد يركب فى ذلك مركبا يخالف المنهج العلمى الذى يسير عليه العلماء حين يؤلفون أو حين يناقشون :

● ففى صفحتى ٨٥ ، ٨٦ أشار المؤلف الى حادث تأبير النخل - اى تلقيحه - الذى وقع من النبى عقب هجرته الى المدينة ، فقد لاحظ عليه السلام أن اهل المدينة يؤبرون نخلهم ، فمنعهم من ذلك . ولما لم تثمر النخيل عاد فصرح لهم بالتأبير ، فانهم أعلم بشئون دنياهم . وقد علق الاستاذ خيرى حماد على هذه الحادثة بأنها (لم ترد الا فى كتاب واحد من كتب التاريخ الاسلامى، فى حين لم تشر اليها كتب السيرة الصحيحة ، مما قد يوحى باختلاقها من قبل بعض الشعوبيين). وفى هذا التعليق تهجم من الاستاذ المعرب المعلق على العلم وعلى التاريخ وكتب الحديث الصحيحة. فقد وردت هذه الحادثة - التى سماها المعرب قصة - فى صحيح ابن حبان ، وهو من أوثق كتب الحديث ، هكذا : (قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل - أو يلقحون - فقال : ماتصنعون ؟ قالوا شيئا كانوا يصنعونه، فقال : لولم تفعلوا لكان خيرا ، فتركوها فنفضت - أو نقصت - فذكروا ذلك له ، فقال صلى الله عليه وسلم : انما أنا بشر ، اذا حدثتكم بشىء من امر دينكم فخذوا به ، واذا حدثتكم بشىء من دنياكم فانما انا بشر) . وهذا الحديث رواه أيضا الامام مسلم (جـ ٢ : ٢٢٣) وقد روى هذا الحديث باسناد آخر ، وجاء فيه قوله عليه السلام : أنتم اعلم بشئون دنياكم . رواه الامام احمد بن حنبل فى المسند (جـ ٦ : ١٢٣ طبعة الحلبى) . وفى المسند طبعة دار المعارف بتحقيق المرحوم أحمد محمد شاكر (جـ ٢ حديث رقم ١٣٩٥) ، ورواه ابن ماجة فى سننه(جـ ٢ : ٤٨)، ولم ينكر احد من علماء المسلمين هذا الحديث الثابت الصحيح ، بل استند اليه بعضهم فى أثبات سلطان العقل للعلوم الدنيوية التى لا شأن لسلطان الاسلام فيها (انظر كتاب « حرية الفكر فى الاسلام » للاستاذ عبد المتعال الصعيدى - ص ٢٥) ، وقال بعضهم ان الفرق بين شئون الدين والدنيا انما هو فى امور الصناعات والامور المادية والتجارب وما اليها ، اما ما يتصل بأمور الناس فى الدنيا ومعاملاتهم فهذا من امور الدنيا يقينا (انظر صحيح ابن حبان - تعليق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر - ص ١٥٧) .

● ومن التعليقات التى تهجم فيها المعرب على العلم بدون حق ولاسند ولامعرفة انكاره فى صفحة ٣٣٦ ما قرره الخليفة عمر بن الخطاب من ، عدم السماح لغير المسلمين بالعيش فى الجزيرة العربية » ، فقد انكره المعرب وعلق عليه قائلا: «لا ادرى من اين جاء المؤلف بهذه الرواية ؟» كما انكر ان عمر استند فى قراره الى حديث للنبى عليه السلام على فراش الموت . والمسألة حقيقة تاريخية ثابتة لاتحتاج الى مثل هذا الانكار من المعرب . فقد ذكر المقريزى فى كتابه « امتاع الاسماع : ٥٤٦ » أن بعض نساء النبى كن يتذاكرن فى مرض وفاته كنيسة رأينها فى أرض الحبشة وعليها تصاوير ، فانكر عليه السلام التصاوير والقباب ، وقال : (لايبقين دينان



بارض العرب) • وفي صحيح البخاري (ج ٦ ص ٩) أن النبي عليه السلام اوصى في مرضه الذي توفي فيه بثلاث وصايا • أولها : (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب) • وفي مسند ابن حنبل عن عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما) •

والحديث الذي استند اليه الخليفة عمر في اخراج المشركين من الجزيرة العربية ، والذي لم يقع للاستاذ المعرب ، فجره الى الانكار والاستفهام والافتاء بغير علم – من الاحاديث الصحيحة الثابتة ، وقد جاء في البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والدارمي ومالك وابن حنبل والطيالسي •

● ومن انكارات المعرب التي لم يستند فيها الى علم ما جاء في صفحة ١٤١ خاصا ببيعة النساء يوم فتح مكة وحديث هند بنت عتبه امراة أبي سفيان مع النبي عليه السلام وهي مختصرة ، فقد علق عليها المعرب قائلا : (انه لم يستطع العثور على تأييد لهذه الرواية في كتب السيرة)، والسيد خيري حماد يعلم أن سيرة ابن هشام ليست كل كتب السيرة ولا مصدر اخبارها الوحيد ، ففي كتب التاريخ الوثيقة اخبار لم تات فيما وصل الينا من كتب السيرة ، ومنها هذا الخبر الذي رواه المقريزي المؤرخ في كتابه «امتاع الاسماع » ، وهو حجة في سيرة الرسول عليه السلام ، وفيه اخبار لم تات في كتب السيرة • والخبر كما اورده المقريزي طريف (ج ١ ص ٣٩٢) ، وقد نقله الاستاذ المرحوم محمد رضا مؤرخ السيرة المعاصر في عبارات اخر ، ولعله استقاه من مصدر آخر غير الامتاع للمقريزي (انظر « محمد » – لمحمد رضا – ص ٤٣٤ – طبعة عيسى الحلبي) •

● وفي صفحة ٦٠ يذكر جلوب الانجليزي نقلا عن بعض المصادر العربية الاسلامية أن زيد ابن حارثة مولى النبي عليه السلام ينتمي الى قبيله « اضرة » العربية المسيحيه التي كانت تقيم في جنوبي سورية ، فيعقب الاستاذ المعرب على هذا ان مؤرخي العرب اجمعوا على أن زيدا من بني كلب لامن بني اضرة • وفي هذا الكلام بعض الحق ... وان كان الحق أن المؤرخين والنسابة قد اختلفوا في نسب زيد بن حارثة اختلافا كبيرا، فهو عند ابن سعد(زيد الحب بن حارثة، بن شراحيل، ابن عبد العزى ، بن امرىء القيس ، بن عامر ، ابن النعمان ، بن عامر ، بن عبدود ، بن عوف ، ابن كنانة ، بن عوف ، بن عذرة ، بن زيد اللات، ابن رفيدة ، بن ثور ، بن كلب ... الى أن يبلغ به يعرب بن قحطان) ، ويزيد بعض المؤرخين كعبا بين شراحيل وعبد العزى (انظر محمد رضا ص ٩٠) • ويقول المعرب انه كان يسمى زيد بن حارثة الكلبي ، ونقول له نحن أيضا ان بعض المؤرخين سماه : زيد بن حارثة الكعبي • فهو تارة كلبي ، وتارة كعبي ...

● وفي صفحة ٤٠ مثال لاصرار المعرب على تخطئة المؤلف حتى ولو كان على صواب • فقد ذكر جلوب أن تيتوس الامبراطور الروماني طرد اليهود من القدس في عام ٧٠ للميلاد ، ولكن المعرب يناقضه قائلا : الصواب عام ٧٩ ميلادية• ولا أدري علام يستند المعرب الى هذا ؟ فكل كتب التاريخ ودوائر المعارف – مابين اجنبية وعربية – تؤرخ هذا الحادث سنة ٧٠ م لاغير (انظر تاريخ العرب للدكتور حتي جـ ١ ص ٨١ و NEWS OF THE WORLD صفحة ٤٨ ، وموسوعة NUTTAL مادة TITUS و «معلمة لاروس » وغيرها •

● وفي صفحة ٣٨ يذكر المؤلف الانجليزي ان الجنوب العربي كان من مستعمرات الفرس في القرن السادس الميلادي ، ويصحح المعرب هذا منكرا ان يكون الفرس قد استعمروا الجنوب العربي ، ولكنهم (حاولوا استعمار اليمن وحكمه ، ولكن ايامهم فيه كانت معدودة) • وكلام المعرب هنا يحتاج الى شيء من البيان الدقيق ، فان سيف بن ذي يزن لما استعان بملك الفرس لطرد الاحباش من بلاده ، امده هذا بجيش فارسي بقيادة « وهرز » سنة ٥٧٠ م فهزم الاحباش وطردهم من اليمن ، ولكن الفرس حلوا محل الاحباش ، وكانوا يتدخلون في شئون

اليمن حتى جعلوها ايالة فارسـية خاضـعة لسلطانهم ، وظلت كذلك حتى سنة ٦٢٨ م حين اعتنق « باذان » - عامـل الفرس على اليمن - الاسلام فى عهد النبى عليه السلام • ومن هنا ندرك أن اليمن ظلت أيالة - او مستعمرة فارسية مدة ثلاثة وخمسين عاما ••

وبعد : فهذه امور ومسائل اقف فيها موقف المخالف من الأستاذ خيرى حماد ، وهو خلاف نرجو من ورائه الوصول الى الوفاق ، والى الحق الذى نهدف له جميعا • ونسعى اليه ، ولا أحسبه الا حريصا عليه ، حفيا به ، فان العلماء الحقيقيين لايغضبون حين يوجه النقد اليهم ، ولكنهم - على الأقل - يرحبون لأن الناس يقرءون لهم ، ويهتمون بهم ، ويصبرون على معاناة البحث معهم ، تقديرا منهم لجهدهم ، ومعاونة منهم لهم فى الزام الحجة، ووضوح المحجة •

والله يوفق خطوات مترجمنا العربى الكبير•

محمد عبد الغنى حسن



سطور من كتاب ....

ومن عجائب الأقـدار أن الله نجى موسى بالبحر من فرعـون ، وأغرق فى البحر فرعون على يد موسى ومغزى هذا أن الله يعـد للظالم قذيفة من صنع يده ، وأنه يتخذ للظالم مقبرته التى تواريه مما كان يعير به فرعون موسى • فكان موسى قذيفة أطاحت بفرعون وعرشـه ، وتعاظم فرعون بالأنهار تجرى من تحته فابتلعته البحار ، وفى هذا أكبر عبرة لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا •

••• الى القرآن الكريم



كتابة التراجم من أهم فنون الكتابة وانفعها للقارىء ، لأنها تتناول من الحياة ألوانا متعددة، وتطلعه على انواع من التجارب التي مارسها كل مترجم له ، فتكسبه ثروة وافرة من المعارف لاتتاح له في غير قراءتها ، وتكشف له عن عدة امور غامضة، وقد تحل له عدة مشاكل من مشاكل الحياة التي صادفها غيره ، وتنير له سبيل النجاح وطريق الفشل ، ويهتدى بها الى خير المبادىء التي ينبغي ان تكون دستورا لحياة الكرامة والحرية، وحياة الشرف والاستقامه ·

وقد كان المعروف ان اعلام العلم والفن والاجتماع لايكتبون عن أنفسهم ولا يترجمون حياتهم ، وانما يترجم لهم غيرهم ممن عرفوهم او درسوا آثارهم · ولكننا راينا في العصر الحديث طائفة منهم ترجموا لانفسهم تراجم شائقة ولاريب أن هذه التراجم التي يكتبها اصحابها خير من غيرها للتأريخ وللمؤرخين ، بل للعلم والفن ، لأنها تعطينا الخطوط الصادقة لحياة المترجم واعماله وتجاربه · وهو اصدق راو عن نفسه ، واصح ثقة فيما يقول عن حياته ، وخصوصا اذا كان دقيقا في روايته · صريحا فيما يعرضه لقرائه ، متوخيا الفائدة العلمية والادبية والاجتماعية ·

وهذا ما نراه في هذا الكتاب الجديد «حياة طبيب» · فقد توخى فيه الدكتور نجيب محفوظ ان يسجل صورا كاملة لحياته وللاحداث التي مرت به منذ ولد في الخامس من يناير سنة ١٨٨٢ م في مدينة المنصورة الى اليوم · وذلك في أكثر من خمسة وثلاثين فصلاً تضمها مائتان وخمس وثمانون صفحة كبيرة · وهي مزيج من الذكريات الشخصية والذكريات العامة والنظرات العلمية والتجارب الطبية التي مارسها او مرت به في مدى عمره المبارك ، وكان لها اثرها العظيم وقيمتها التاريخية في الفن الذى تخصص فيه · وهو « طب الولادة وأمراض النساء » ·

ولهذا كان للكتاب قيمته العلمية التي تستحق الدراسة ، ولمؤلفه واجب العناية بحياته الممتازة ، فهو ليس طبيبا فحسب ، ولا عالما



فحسب ، بل هو نطاسى نابغ متخصص جدير بان تسجل حياته وتدرس ليستفيد منها شباب الجيل ·

فقد حصل على مؤهلات طبية ، وتقدير علمي دولي ، وجوائز علمية في مصر والخارج لم يحصل عليها طبيب في « طب الولادة وأمراض النساء » حتى الآن · وقد الف ستة مؤلفات نفيسة بالعربية والانجليزية في هذا الفن منها : « الثقافة الطبية والطب البشرى عند العرب » · و « الموسوعة العلمية في أمراض النساء والولادة » · وهي في ثلاثة مجلدات تبلغ ١٣٥٠ صفحة وكتب اكثر من خمسين بحثا طبيا في المجلات الطبية العالمية · وهو اول من أسس « قسم امراض النساء والولادة » بالقصر العيني ، واول من أسس أول



طبيب

تأليف : الدكتور نجيب محفوظ

الناشر : دار المعارف
بالاشتراك مع المؤلف
٢٨٥ ص قطع كبير

عيادة للحوامل فى مصر وأول مركز لرعاية الطفل ، ومدرسه الممرضات والمولدات ، وأول متحف للولادة وأمراض النساء على نفقته الخاصة، ثم اهداه للدولة · وقد قام بتأليف « جمعية الولادة وأمراض النساء المصرية » التى تقوم بدور هام فى البحث العلمى والثقافى والخدمات الطبية – هذا الى ماأشتهر به من نبوغ فى علاج المريضات وانقاذهن من الموت ·

ولذلك تبوأت حياة الدكتور نجيب محفوظ مكانتها التاريخية · وقد أحسن كل الاحسان فى كتابتها بنفسه · ورسمها رسما دقيقا يتفق ودقته فى فنه ، وأعطانا نفسه وأعماله شرحا وتحليلا لكل ماراه وشاهده ، بل شرح حياته تشريحا تاريخيا ، فلم يترك شيئا الا وضحه وفسره بأسلوب سلس جميل مع الايجاز والتركيز والافادة العلمية والاجتماعية ·

ومن الغريب ان هذا الطبيب النابغ الذى انقذ آلاف الاطفال من الموت عند الولادة ، قد ولد هو بحالة أيقن الدكتور ومساعدته اللذان قاما على ولادته أنه فقد الحياة ، فهو يقول فى حادث ولادته :

« بعد تسعة اشهر كاملة قضيتها فى بطن امى · فى عالم الظلام ، خرجت الى عالم النور فى اليوم الخامس من شهر يناير سنة ١٨٨٢ م · وكان اليوم يوم الخميس ، ولم استقبل عالم النور بالبكاء والصياح، ولم تكن يداى مقبوضتين، كشأن الطفل ساعة يولد ، بل كنت مسترخيا كل الاسترخاء ، لانبض ولاتنفس وذلك مايسمونه فى الطب : « اسفكسيا بيضاء » · وهى أسوأ درجات الاختناق الشديد · فقد لبثت والدتى فى مخاضها ثلاثة أيام بلياليها وكنت وليدها الثامن · وهى يومئذ فى الخامسة والأربعين · وقد قررت الحكيمة « بهانة » وزوجها « الدكتور منصور » · وهما اللذان لازما والدتى فى مخاضها الطويل ان المولود فقد الحياة ، فوضعت فى صينية بجانب نافذة مفتوحة ، ولم يقطع حبلى السرى ، الى ان جاءت خالتى السيدة «حنا» واسرت الى الحكيمة أن المولود يتنفس على ضعف فعملت الحكيمة على انعاشى بما تعلم من الوسائل، ولكن تعرضى للهواء البارد أمام شباك مفتوح ، والشتاء فى ابانه ، كان له فى صحتى أثر سىء عانيت منه شهرين ، بل أكثر ·

« وهكذا استقبلت الحياة برضا واستسلام· وبودى حينما يسترد الله وديعته أن أتلقى ذلك بابتسامة وثقة ورجاء ·· »

وقد تحدث الدكتور نجيب عن ذكريات الطفولة والتربية المنزلية ، وعن الدراسة ، ووصف لنا مدرسة الطب ، وقصر العينى منذ ستين عاما · وجهاده وهو فى السنة الرابعة النهائية من مدرسة الطب فى مكافحة وباء الكوليرا الذى دهم البلاد المصرية فى سنة ١٩٠٢ م، وكان له الفضل فى اكتشاف البئر الموبوءة فى

قرية « فوشنا » بميكروب هذا الوباء ، حتى أمكن القضاء عليه في الصعيد ٠

وحينما وصف مدرسة الطب أثناء دراسته مع زملائه في المدرسة لم يفته أن يتحدث عن حالتها الاجتماعية الى جانب حالتها العلمية ، وما شاهده من مزالق الاخلاق بين الطلبة والطالبات على الرغم من أنه كان في المدرسة وقتئذ قسمان : قسم للرجال ، وقسم للحريم ٠ وكانت الطالبات وقتئذ يلبسن في المدرسة البرقع الأبيض المعروف باسم « اليشمك » ٠ ومع ذلك فان التقسيم بينهن وعدم الاختلاط الدائم لم يمنع من وقوع أخطاء خلقية ٠ وقد روى الدكتور صورة مما وقع في ذلك الزمان فقال :

« كان عمل الطلبة في المستشفى موزعا بين قسم الرجال وقسم الحريم ، فمن حقهم في ساعات العمل المعينة ان يدخلوا قسم الحريم لتسجيل المشاهدات فكان ذلك مدرجه للاختلاط بين الطلبة وطالبات مدرسة التمريض اللائى كن يقمن بعمل الممرضات ، وكانت الطالبات يغطين وجوههن بخمار أبيض (يشمك) ٠ ومما يؤسف له حقا أنهن لم يكن جميعا يؤثرن الحشمة والتزام الحياء ٠ وكان بعض الطلبة يبادلون بعضهن المداعبات والمغازلات ٠ وقد سقط في شباكهن نصف الطلبة ٠ وكانت بينهن اثنتان من ذوات الجمال والاغراء ، وانتهى الأمر بأن اختص كل طالب بواحدة من هؤلاء الطالبات ٠ وكانوا يظنون أن أمرهم يبقى مكنوما ، ولكن سيرتهم افتضحت في داخل المستشفى وفي خارجه ٠٠ !!

«واذا كانت قدماى لم تنزلقا في هذا السبيل، فالفضل في ذلك يرجع الى النصائح التى كانت تتعهدنى بها امى في صباى ... »

وهذا الحادث يدلنا على أن الحجاب والتحفظ في الاختلاط ولباس اليشمك وارتداء الملابس الطويلة الكاسية لم يمنع ذلك كله من الوقوع في هذه المزالق ٠

وانما المعول في التمسك بالاخلاق الفاضلة في دور التعليم والأماكن الأخرى ، على التربية الاخلاقية التى تعصم من الانزلاق في مثل هذه الأخلاق التى تنافى كرامة العلم والتعليم ، وتسىء الى الآداب العامة ٠

وقد روى الدكتور نجيب عدة أحداث وقعت له في علاجه للمرضى ، وعدة أخطار تعرض لها أثناء عمله أو في حياته الاجتماعية ، أو في أثناء سفره في الخارج ٠ وما شاهده من الأحداث الخارجة التى يعجز العقل عن تفسيرها ٠٠ قال:

« صادفنى كثير من الاحداث الخارقة ، تخالف المألوف ، وتخرج على السنن الطبيعية المعهودة ٠ وقد عجزت عن ان أجد لها تعليلا يقبله العقل ولم يهتد العلماء بعد الى ما يكشف لنا الغامض من اسرار المخ ، ومدى امكانياته...»

ثم روى عدة حوادث من هذا القبيل ٠ نذكر منها هذه الحادثه :

« حدث أثناء الحرب العالمية الأولى أن سيدة فرنسية ٠ وهي زوجة أحد رجال السلك السياسى في سفارة فرنسا بمصر ، أصابها ما يستدعى اجراء جراحة كبرى ، فأدخلتها المستشفى ٠ ولما شرعنا في تخديرها بمزيج من « الكلوروفورم والأثير » هاجت وجعلت تغنى باللغة العربية في لهجه تونسية قائلة :

« يابنت يابيضا وجننتينى
جبت النبيت الأبيض وسكرتينى»

« ولما عادت السيدة الى سريرها بعد انتهاء الجراحة ، ذهبت اليها للاطمئنان بعد أن افاقت من المخدر ، وقلت لها باللغة العربيه : «مبروك» فلم تفهم قولى ، فذكرت لزوجها ما كان من غنائها باللغة العربية اثناء التخدير ، فقال : « لعل السر في ذلك أنها ، وهى طفلة منذ عشرين سنة ، عين أبوها فى منصب بالسفارة الفرنسية في تونس، فاستأجر لطفلته مربية عربية تونسية ٠ وبعد أربعة أعوام ، عادت الأسرة الى فرنسا ولم تغادرها ، فلابد أن الفتاة تعلمت من حاضنتها التونسية بعض الأغانى العربيه في تلك الحقبة الماضية البعيدة

« وفى اليوم التالى ذكرت الممرضة للسيدة قصة غنائها بكلمات عربية ، فلم تصدق ، وقالت هذا مستحيل ، ولم تذكر حرفا واحدا من الأغنية التى ترنمت بها في تخديرها » !

ويفسر الدكتور نجيب هذه الحادثة « ان

الذاكرة تتألف من « الكترونات » تتكدس فى المادة السنجابية للمخ ، وتظل راكدة حتى ينزاح عنها العقل الواعى فتنطلق » ٠

ولعله يريد بهذا التفسير ان الاغنية العربية التى حفظتها فى طفولتها السيدة الفرنسية ، وتسيتها بمرور الاحداث والزمن قد اختزنت واختبأت فى الوعى الباطن حتى اذا سكن عنها الوعى الظاهر بتأثير المخدر انطلق الوعى الباطن يخرج ما اختبأ فيه ٠ وهذا ما يفسره علماء النفس بطريقتهم ٠

وقد ختم المؤلف كتابه بثلاثة فصول تضمنت عدة نظرات كونية وتاملات اجتماعية وآراء فلسفية وادبية ٠ وهى بهذه العناوين : —

١ — « سر الخليقة » ٠ ٢ — « يد القدر » ٠
٣ — « الحياة وهل هى جديرة بأن نحياها » ٠

وقد تحدث فى الفصل الاول عن بعض مشاهداته لسر الطبيعة ، وكيف كان ٠ فى مبدأ دراسته للطب تسيطر عليه شكوك وشبهات تتصل بالعقيدة ومعرفة الخالق ٠ وكان منشأ هذه الشكوك حين تلقى الدرس الاول من الدكتور بيتر Bitter أستاذ «قانون الصحة» ٠ وموضوعه « ان المادة لاتفنى » فقال فى نفسه : اذا كانت المادة تتحلل ، ثم تعود سيرتها الاولى ٠ والمادة الأرضية هى كما هى لاتزيد ولاتنقص الا بما يتساقط عليها من نيازك السماء من حين الى حين — فكيف يقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ؟

وقد استبدت به الحيرة ، ولكنه ما لبث بعد تقدمه فى دراسة الطب أن رسخ ايمانه رسوخا لايتزعزع بقدرة الله العظمى ٠ ووجد فى هذه القدرة المدبرة ما لايمكن ادراكه بعقولنا ٠ وقد ضرب لذلك مثلا بقانون « حفظ النوع » فى الكائنات الدنيا كالميكروبات التى ليس لها جهاز عصبى ولامخ ، وانما هى خلية من «البروتوبلازم» لها خصائص الأجهزة جميعا ٠ ولها أعمال عجيبة فى المحافظه على نوعها — كما أعطانا عدة أمثلة لكائنات أخرى تدل أعمالها وحياتها على وجود اله قادر مدبر قد منحها من الخصائص ما تستطيع به ان تحيا وان تدافع عن حياتها كسائر المخلوقات ٠

وهنا نعرض لرأى المؤلف فى فصل « يد القدر » ٠ فقد تحدث فيه عن القضاء المحتوم والقدر المكتوب ، فقال : « ٠٠٠ لا أطمئن الى ان الله الذى ليس لكماله حد يعاقب أمرا على شر فرضه عليه فرضا ولا حيلة له فيه كما أنه لايثيب امرأ على خير لم يكن له فضل فى اختياره ٠

« والتمادى فى الركون الى أن الانسان لم يكن يستطيع التخلص مما فعل ، يسوغ لبعض ذوى العقول السقيمة ان يترددوا فى مهاوى الرذيلة ، وان يتساقوا فى تيار الغواية ، وفى الحمل على الاقدار سبيل التبرؤ والاعتذار ٠

« وانما يضع الله امام الناس طريقين ، ويترك لهم حرية الاختيار وقد ارسل اليهم كلمته ، وفيها يهديهم الى سواء السبيل ، فان سلكوه فلهم فى ذلك فضل ، وان لم يسلكوه فوزرهم على أنفسهم ٠٠ »

وهذا تفسير سليم لاريب فيه عند اكثر العلماء ٠ ولكن المؤلف تحدث فى آخر الفصل عما انتاب الشرق من التخلف فى العصور المتاخرة ، واسند السبب فيه الى اعتقاد الشرقيين بالقضاء والقدر أو بما يعبر عنه مثل عامى يقول : تجرى جرى الوحوش ، وغير رزقك مانحوش » ٠ ثم نقل كلمة من « كتاب كليلة ودمنة » على لسان الظبى الذى سقط فى الشرك يجيب بها « الجرز » : « وهل ينفع الكيس مع المقادير شيئا ؟ » ٠

والحقيقة أن تخلف الشرقيين فى العصور المتاخرة لم يكن لاعتقادهم بالقضاء والقدر ، فكلهم يعتقدون بأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، وانما تخلفوا فى هذه العصور لتخاذلهم ومنازعاتهم وأطماع أمرائهم وحكامهم ، واسرافهم فى اللهو واللعب وممارسه الشهوات ، وغفلتهم عن توفير العدة والقوة ، وركونهم الى الكسل والتواكل ، وايثارهم للنعومة والرفاهية ، وتركهم للتعاون فى الوقت الذى عمل فيه اعداؤهم فى الغرب

لتوفير أسباب القوة والعدة ووسائل التقـدم العلمى والاقتصادى والحربى ٠

نعم كان فى الشرق ، طائفة الجبريين ، ، ولكن هذه الطائفة التى تقول بأن الانسان مجبر فى كل احواله ، قد انقرضت فى اواخر القرن الرابع الهجرى ولم يبق لها أثر ٠

وفى فصل ، الحياة وهل هى جديدة بأن نحياها ، انتقد رأى سليمان الحكيم الذى حين رأى المظالم التى تجرى تحت الشمس غبط الاموات أكثر مما غبط الأحياء وفضل على كليهما من لم يولد فى هذه الدنيا ٠٠ كما أنه انتقد رأى فيلسوف المعرة الذى قال :

تعب كلها الحيـاة فما أعـ
جب الا من راغب فى ازدياد

ويقول الدكتور نجيب محفوظ : ، والذى اشعر به من صميم قلبى أن الحياة جديرة بأن نحياها ، لما تواتينا به من لذة الكفاح ، وما تمدنا به من كنوز المعرفة وما توقظ به عقولنا وترهف عزائمنا فى كفاح المجهول ٠٠ ،

وليس فى الكتاب ما يؤاخذ عليه مؤلفـه الا أنه فى بعض فصوله ذكر بعض الذكريات البسيطة الخاصة جدا وبعض الأسماء والتفصيلات اليسيرة التى لا يحتاج اليها القـارىء ، وهى ليست جديرة بالذكر فى حياة تاريخية كحياة الدكتور نجيب محفوظ ٠ وقد ختم الكتـاب بقوله :

،ولو كان لى أن أوجز خلاصه ما قرأت وما سمعت وما رأيت من طبيعة الخير والشر فيمن صادفتهم من الناس فى حياتى ، لقلت : انى عرفت عمق الهوة التى قد ينحدر اليها من يبتعدون عن الله، ولا يفكرون الا فى أنفسهم ، كما عرفت سمو الأوج الذى يبلغه من يتجهون الى الله ، ويفكرون فى الآخرين ، !

وهذه العبارة تتفق وتلك الحكمة المأثورة التى سجلها على اول صفحة من الكتاب وهى :
، اذا لم تكن قد اعطيت الناس نفسـك ، فانت لم تعطهم شيئا ، ٠

طاهر الطناحى

سطور من كتاب ....

ومن هنا نرى ان متطلبات بنـاء الدولة ،تؤثر فى كل مرحلة من المراحل ، على الشئون الخارجيـة . فالسياسـة الخارجية بالنسـبةللدولة الجديدة هى فى الواقع سياسة داخليه ، تتبع بأساليب أخرى ٠ انهـا سياسه داخليـة تنفذ وراء حدود الدولة نفسها ٠ وكثيرا ما تشعر الدوله الجديدة التى تحررت مؤخراً من السيطرةالاستعماريه ، والتى تعى وعيا كاملا عجزها ، بالشك فى فكرة ، الاعتماد ، اذ أنها تمثل لها خطر تجدد سيطرة القوى على الضعيف ٠

... الحياد وعدم الانحياز

الإسلام
و
النوبة
فى العصور الوسطى

تأليف الدكتور مصطفى محمد مسعد

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية
٣١٨ ص قطع كبير

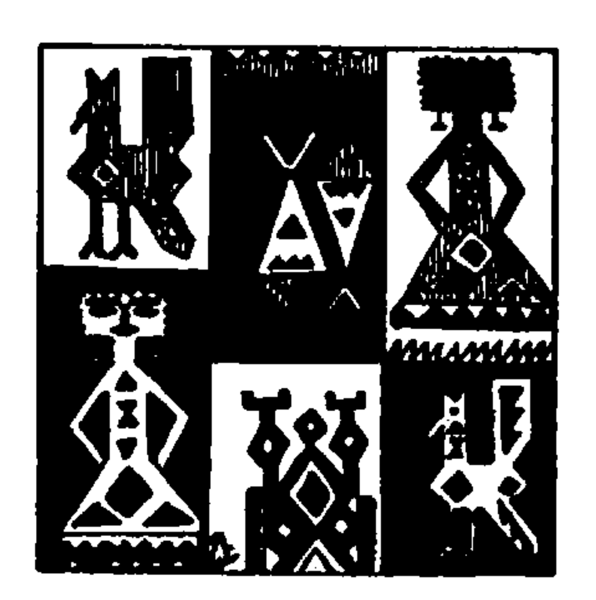
تناول مؤلف هذا الكتاب موضوعا له اهميته وخطورته فى تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فى مجالها الحيوى ، الذى يمتد من العراق شرقا الى ساحل افريقيه ، المطل على المحيط الاطلسى – بحر الظلمات – غربا ، وتتبع فى جانب هذه المنطقة الشرقى أمة العرب ، التى اخذت ترسل مجموعاتها القبلية ، بسبب ما اصابها من الجفاف والتغيير المناخى ، الى الأقاليم المجاورة وبخاصة الى الجانب الغربى للبحر الاحمر • ولا شك فى ان اختيار هذا الموضوع لدراسة عالية – (جامعية) كان اختيارا موفقا ، فتح الطريق أمام الباحث الراغب فى الاستزادة ، لمواصلة البحث وتحقيق المصادر والروايات التى جاءت فيها بمقارنة بين مختلف النصوص •

وقد اعطى المؤلف لكتابه عنوانا واضح المعالم ، وهو « الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى » ، وهذا مما يجدد موضوع البحث وهو دراسة دخول الاسلام الى حوض وادى النيل الاوسط وعراكه مع النوبة ، وبخاصة لم تكن الدعوة المسيحية قد دخلت الى هذا الاقليم الا فى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ، اى قبل وصول الدعوة الاسلامية الى نفس المنطقة بحوالى قرن من الزمان ، وتحديد منتصف القرن السادس الميلادى لا ينفى ان المسيحية ، قد دخلت البلاد قبل ذلك ، غير ان هذا التاريخ ، هو الموعد الذى اعتنق فيه البيت الحاكم الدين المسيحى ، اما المسيحية فقد وصلت الى النوبة منذ اول دخولها الى اقليم مصر •

واذا رجعنا الى محتويات البحث نجد ان موضوع الدراسة ، مقسم سبعة فصول ، الاول والثانى منها عن النوبة فى اقليمها واسمائها المختلفة ، ثم بلاد النوبة قبيل دخول المسيحية ومراحل تاريخها ، ويشغل الفصلان الثالث والرابع موضوع دخول المسيحية الى النوبه • ثم النظم والحضارة فى ممالك النوبة • وشغلت هذه الفصول الاربع حوالى نصف مجموع الصفحات من الكتاب ، ويأتى بعد ذلك الفصل الخامس عن « النوبة والعرب » ، وبهذا ترك المؤلف لانتقال الحكم الى يد العرب فى مملكتى مقره

(دنقلة) وعلوه ثم قيام دويلات ومشـــيخات اسلامية في المرحلة الاولى ثم دخول هذه الدويلات والمشيخات في المرحلة الثانية في زعامة شيخ لعيد اللاب الذى كان مركز زعامتـــه في القرى الواقعة عند خانق الســيلوقة (بين الخرطوم وشندى) وفي المرحلة الثالثة دخلت هـــذه المجموعات وزعامتها في حلف مع الســـلطان السنارى ، ترك لهذا الموضوع الكبير المتسع الاطراف حوالى الثمانين صفحة ، أى ربع المجموع الكلى لصفحات الكتاب بما فيها الملاحق والفهارس اللذين يشغلان حوالى الثمانين صفحه ، وهـــذا بلا شك قليل جدا بالنسبة لموضـــوع ، يعتبر الاساس في البحث المتعدد الاطراف ، ويبدو ان المؤلف له عذره في هذا الوضع ، وذلك يرجع الى عدة اسباب ، لم يكن من اليسير التغلب عليها ، وهى العدد القليل من المصادر العربيه والاجنبية التى عالجت هـــذه الفترة من الزمن من تاريخ انتشار الاسلام الى حوض وادى النيل الأوسط، وهى لاتزيد عن اثنين او ثلاثة ، وهنالك عـــدة مقـــالات في دوريات مختلفة ، مكتوبه بلغـات اجنبية ، وقد اهتم المؤلف في الحصول على عدد منها .

ونتعرض فيما يلى الى ما جاء في هذا البحث، فالمؤلف تحدث في فصول كتابه الأولى عن جماعة النوبة ، وذكر عددا من الاسماء التى اطلقت على هذه المجموعات ، ومنها نوبا ونوباديا أو نباطيا، وأنوبه Anrouba . وهذه في أســـاسها ترجع



اصلا الى حرفين ساكنين الباء والنون ، واشار الى ان هذه المجموعة قد اتخذت من الضفة الغربية لمجرى نهر النيل ، ولم يتعرض المؤلف الى الدور الهام الذى لعبه هؤلاء في سقوط مملكة مرو ، فقد جاء هؤلاء من الغرب الى هذه المنطقة ، التى يعتقد انها كانت شمال الخرطوم ، وعندما تكاثرت اعـــدادها وقويت شوكتهم تغلبوا على الأسرة الحاكمة في مملكة مرو ، فاضطرت الى الخروج من عاصمتها الى الغـــرب ــ في كردفان ــ حيث اتخذت مقامها ، واشتبك هؤلاء النوبة مع نجاشى الحبشـة حيث قام بغزوهم وتخريب مدن مملكة مرو من منطقة بربر شمالا الى علوة جنوبا ، وكان ذلك الغزو في حـــوالى منتصف القرن الرابع الميلادى، وبهذا يحتمل أن الاسرة التى كانت تحكم مملكة مرو قد خرجت من وطنها في حوالى نهاية القرن الثالث الميلادى .

كذلك لم يتعرض المؤلف لأصل لفظ نوبة ومترادفاته التى اطلقت على هذه المجموعة ، بل اكتفى باشـــارة عارضـــة الى لفظ نب Nubu في اللغة المصرية القديمة ومعناه ذهب ، والواقع ان هذا اللفظ لا يمت بصلة الى اللفظ الذى اطلق على مجموعة النوبة ، بل انه لفظ مأخوذ من لغة اجنبية . ليست افريقية حيث تسود عدة لغات ترجع في أصولها الى مصدر أم واحدة . وهذه اللغة الأجنبية التى أخذ منها هذا اللفظ ، هى لغة الرومان الذين اطلقوا على هذه المجموعة لفظ « نوماد Namad » أى بدو ، ســكان مشـــارف الصحراء ويمارسون تجـارة التوابل ويقومون بتربية الماعز ، وعرفت هذه المنطقه التى سكنها هؤلاء نومادیا "Nomidia" في ليبيا . وحـدث تغيير في الحرف الساكن الثانى وهو الميم بحرف الباء ، وهذا الاستبدال معروف في اللهجـات الحامية المختلفة . وانتقـل هؤلاء الذين اطلق عليهم اسم « نوبة » أو مترادفاتهـــا الى حوض وادى النيل جنوب الشـــلال الأول في ثلاث مجموعات ، جاءت أولاها الى المنطقة الواقعة على ضفة النيل الغربية امام مملكة مرو ، وثانيتهـا مجموعة المقرة أو الماكورة التى جاءت الى منطقة «المقرة» او دنقلة ، ثم تالتتها مجموعة النوبة التى جاءت من الواحـــات المصرية في حوالى القرن

الثالث الميلادى بدعوة من دقلديانوس للسكن فى جنوب الشلال الاول للمحافظة على حدود مصر الجنوبية ، اما منطقــة المحس او ارض الحجر والواقعة جنوب وادى حلفا فسكانها لم يخرجوا من موطنهم كمـا فعلت المجموعات التى يطلق عليها نوبا أو نوبة ، والمعـروف ان هؤلاء النوبا والنوبة قد خرجوا من حوض وادى النيل فى زمن بعيد قبل الميلاد الى الغرب والشـمال الغربى ووصلوا الى ساحل المغرب الاقصى وانتقـلوا الى جزائر المحيط الاطلسى ، وعادوا بعد ذلك الى حوض النيل بسبب الجفاف الذى حول الاراضى الخصبة الى صحراوات وهبط مستوى الميـاه الجوفية تدريجيا ، فكان لزاما عليهم ترك الموطن غير الملائم للحياة .

ويذكر المؤلف فى صفحة ١٠ ان اهل النوبة ينقسمون خمس مجموعات رئيسية ولم يذكر سوى اربع مجموعات ، ربما سقطت المجموعـة الخامسة على حسب تقديره خلال طباعة الكتاب ، وربما كانت هـذه المجموعة الخامسـه هى نوبـا جبـال كردفـان • والملاحـظة أن المؤلف قد فصل بين الفادجة والمحس وجعلهما مجموعتين وهم فى الواقع من أصـل واحـد ولهجتهما متحدة ، ويكونون مجموعة واحدة •

وننتقل بعد هنا الى دخول العرب المسلمين الى حوض وادى النيل الأوسط ، الموضوع الذى خصص له المؤلف الفصل الخامس « النوبيون والعرب » ، واعتمد المؤلف فى بحثه على مصادر كثيرة كانت فى حاجة شديدة الى تمحيصـها وتحقيق ما جاء فيها فهى تقول بما يشير الى ان العرب المسلمين قد جاءوا فى كثرة عن طريق برزخ السويس • فاذا اخذنا بعين الاعتبار أعداد القوات العسكرية التى جاءت مع الولاة الى مصر وشمال افريقية عن طريق برزخ السـويس ، واسقطنا هذه الأعداد الكبيرة من تقديرنا الكلى لوجـدنا أن العرب المشتغلين بالحرف والمهن الذين جاءوا عن هذا الطريق لايزيد عن حوالى عشرة فى المائة من العدد الكلى ، واذا قارنا هذا العدد مع المجموعات التى دخلت حوض وادى النيل الاوسط عن طريق البحر الأحمر مباشرة لوجدنا ان عدد هؤلاء كان اكثر من المجموعات التى دخلت عن طريق برزخ السويس ووجـدنا بالاضافة الى ذلك ان هؤلاء الذين دخلوا مباشرة الى حوض وادى النيل الأوسط كانوا من رجال الاعمال ونســبة قليــلة منهم من رجال الدين الصوفية •

ونجد ايضا ان معالجة هذا الموضوع كانت على ضوء عدد من المصادر التى لم تحقق نصوصها ، وجعلت ماكتبه المؤلف صورة لما ورد فى تلك المصادر دون الوصول الى رأى بعد تقييم مختلف الآراء والنظريات •

ويقول المؤلف فى صفحة ١٠٧ ما يشير الى ان الاتصال كان قويا بين الجزيرة العربية وبين حوض وادى النيل الأوسط • وأن العرب قــد اتخذوا لهم مراكز على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ومنها توغلوا الى داخل القارة الأفريقية • وطبيعى أن هؤلاء العرب الذين جاءوا الى ساحل البحر الأحمر الأفريقى قد جاءوا عبر زمن طويل بدأ بالقرن الأول الهجرى عندما حاول القراصنة من ساحل البحر الأحمر الافريقى الهجـوم على جدة فى عام (٧٠٢ م) وخشى المســلمون أن تمتد يد هؤلاء الى الداخل فتصل الى الأماكن المقدسة لذلك عمدوا الى احتلال مجموعـة جزائر دهلك وامتد احتلالهم الى الشاطىء حيث أقاموا مراسى تجارية فى عيذاب وسواكن وباضـع ، وكانت بذلك سفن عربية تمخر عباب البحر الأحمر من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب ، وهذا يدحض الرأى الافرنجى القائل بأن العرب كانوا يكرهون البحر والسفر فيه •

ويجدر بنا أن نشــير ايضا الى ان دخول جماعات عربية مسلمة قد كان فى القرنين الأولين لظهور الدعوة الاسلامية ، وقد دخل هؤلاء كمـا يذكر بدج من ساحل البحر الأحمر عبر منطقة مملكة مرو الى علوة والمدن الأخرى على حوض وادى النيل الأوسط وما حواليه • ونشـير الى قيام دولة اسلامية فى حوض القاش – فى غرب الارتيريا والتاكة – فى حوالى القرن الرابع الهجرى ان لم يكن قبل ذلك بزمن ليس بالقصير – ويقول ابن حوقل أن سلطان هذه المنطقة ، التى كانت تعرف بارض دجن ، كان مسلما يتكلم العربية

وكانت ولايته عن صاحب علوة المسيحية .

ويقول المؤلف انه قد سمح العرب المهاجرين والمترددين على سوبا للتجارة وغيرها ببناء مسجد في العاصمة والمعروف أنه كان للعرب حينذاك رباط خاص بهم ، ومن الطبيعي ان بناء هذا الرباط لم يكن في فترة قصيرة من الزمن ، بل كان نتيجة لعمل مستمر لأكثر من قرن من الزمان . ويجمل بنا أن نشير ونحن في حديث عن المسجد ، أن النص الذى نقل عنه المؤلف : عن ترجمة عربية لكتاب الدعوة الى الاسلام لمؤلفه توماس ارنولد . جاء فيه أن العرب اقاموا مسجداً بينما أن النص في الانجليزية يقول أنهم طلبوا السماح لهم ببناء مسجد . وهنالك فارق واضح بين طلب السماح بالبناء وبين اقامة البناء ، وبخاصة في بحث علمي .

وننتقل الآن الى الفصل الاخير من الكتاب وهو الفصل السابع الخاص « بسقوط علوة المسيحية وانتشار الاسلام والثقافة العربية » . وهذه نقطة خطيرة وكاملة الخطورة في دراسة مراحل انتشار الرسالة الاسلامية في حوض وادى النيل الأوسط ، الأمر الذى كان يتطلب دراسة للمجتمع وتكوينه وتقاليده وظروف بيئته . فالدمشقي يذكر (١٢٥٦/١٣٢٧ م) أن ملك علوة يسكن مدينة كوسة (قوص الواغلة) لا مدينة سوبا اى ان حكومته قد تركت مركزها وذهبت بعيداً في كردفان ، ويضيف المؤلف « وعلى الرغم من انتقال العاصمة من سوبا الى كوسة واستيلاء القبائل العربية على معظم اقاليم علوه ، فان هذا لايعني سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل . ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومه مركزية تخضع لها سائر الاقاليم لاسباب واضحة منها ، عدم انقياد بعضهم الى بعض ، فصاروا شيعا لهذا العهد — (ومصدره في ذلك قول ابن خلدون العبر جـ ٥ ص ٤٢٩) وهذا في الواقع في حاجة الى دراسة جديدة ، فالعرب الذين يشير اليهم ابن خلدون هم عرب البادية ، اما الجماعات العربية التى اقامت الحكم في حوض وادى النيل الأوسط — وبخاصة في منطقتى البسطانة والنيل الازرق قد جاءوا من الساحل الافريقى الشرقى عبر أثيوبيا وغيرها ومارسوا الحياةالتجاريةوخبروها كما مارسوا تقاليد وعادات تجارية هامة . ويقول المؤلف ان ظهور عدة ممالك ومشيخات اسلامية في حوض النيل الاوسط كان له آثار خطيرة في تطوير الحياة الاجتماعية والسياسية كذلك ، مما ساعد على زوال الاسس التى قامت عليها المملكة المسيحية ، وهذا القول الذى جاء في صفحه ٢٠٤ يدحض قول ابن خلدون بأن العرب كانوا شيعا لهذا العهد كما جاء في صفحة ٢٠٣ والمؤكد أن خروج ملوك علوة الى كردفان واتخاذهم قوص الواغلة مركزا لهم قد أبعدهم عن الحكم منذ القرن الرابع عشر الميلادى .

اما عن أصل البيت الحاكم الذى جاء الى سنار في حوالى النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادى . فالآراء والنظريات عنهم عديدة ، غير انه من السهوله بمكان مقارنة هذه الآراء مع التطورات في الاقليم الكبير الذى يمتد من ساحل شرق افريقية وهضبة البحيرات جنوبا الى مصر شمالا ويمتد غربا الى المغرب الاقصى والاندلس وغيرها فان ذلك يمكن من الوصول الى راى سليم . فالفونج وهم ملوك سنار كانوا من الامويين وصلوا الى ساحل شرق أفريقية وانتقلوا الى الشمال وتصاهروا مع بيت السلطان مكنز الذى كان يحكم في غرب الارتيريا وهم الذين ورد ذكرهم في المخطوطات المحلية سابناء بيت عين الشمس أو الأونساب نسبة الى حوض نهر أو نسبه الى الذى كانوا يسكنونه قبلا .

ونختم هذا العرض بالشكر للمؤلف على جهده المضنى لاخراج هذا العمل المفيد .

الشاطر بوصيلي عبد الجليل

الصحفي الأمريكي

تأليف : برنارد ويسز برجر
ترجمة : وديع سعيد

الناشر: سجل العرب ٢٦٠ ص قطع كبير ث ٢٥ قرشا

هذا كتاب فى تاريخ الصحافة الامريكية — تلك الصحافة التى تتمتع بقدر كبير من الحرية يحسدها عليه كل من نزح الى تلك البلاد أو رجع منها • ولا عجب فى ذلك فالصحفى الأمريكى هو الرجل الذى يعيش فى قلب الحياة الامريكية أكثر من غيره • وهو الرجل الذى يعتبر نموذجا يحتذى فى الصحافة الى يومنا هذا • ثم هو الرجل الذى أتيحت له من الامكانيات المادية والطباعية مالم يتح لسواه •

ويشتمل الكتاب على فصول :

اولها — الصحافة الأمريكية فى عهد الاستعمار البريطانى •

ثانيها — الصحافة الامريكية فى العهد الجمهورى •

ثالثها ورابعها — الصحافة الامريكية فى القرن التاسع عشر •

وخامسها — الصحافة الأمريكية فى عهد التكتلات الصحفية أو ما يسميه المؤلف « عهد الامبراطوريات فى ورق الصحف » •

وسادسها — دنيا الانباء • واهم ما جاء فى هذا الفصل الاخير حديث المؤلف عن المؤتمرات الصحفية وكيف أصبحت ضرورة من ضرورات « البيت الابيض » • ثم حديثه كذلك عن رؤساء الجمهورية من زاوية اعلامية •

وختم المؤلف كتابه بكلمة عنوانها : هل يختفى الصحفى ؟ أشار فيها الى المنافسة القائمة بين الصحافة الحديثة والراديو والتليفزيون واقسام العلاقات العامة فى دور الحكومة والشركات والمؤسسات وغير ذلك من وسائل الاعلام المعروفة فى عصرنا هذا • ثم تساءل بعد ذلك : هل فى استطاعة الصحفى أن يشق طريقه وسط هذا الزحام ؟ وهل هو على دعواه القديمة من أنه يمثل ضمير الشعب وانه معلم هذا الشعب وأنه غيور على حرية الراى التى يحرص عليها الشعب • غير أن اجابة المؤلف حملت طابع الشك فى صدق هذه الدعوى •

الصحافة الامريكية فى عهد الاستعمار والسمات العامة لهذه الصحافة

يحرص القارىء دائما على أنه يعرف ماهى اول صحيفة ظهرت فى البـــلد الذى يقرأ شيئا عن تاريخ صحافته • ويجيب المؤلف عن ذلك بان اول صحيفة ظهرت فى أمريكا هى صـــحيفة الحوادث العامة : لصاحبنها بنيامين هيريس :

Public Occurrecies

وذلك فى مدينة بوسطن سنة ١٦٩٠

وكان الطابع العام لهذه الصحافة فى طورها الأول سمات عامة منها :

اولا ــ ان الصحافة الامريكية كانت تقوم على فئتين من الناس هما فئة اصحاب المطابع ، وفئة مديرى مكاتب البريد • وكان رجال الفئتين معـــا مدفوعين الى ذلك بعامل الرزق والرغبة فى زيادة الدخل •

ثانيا ــ ان صحف العهد الاول انمـــا كانت تصدر فى الموانى الأمريكية • وكان الهــــدف الأساسى من الصحف التى تصدر فى الموانى هو تزويد التجار بالمعلومات الضرورية عن الســـفن الآتيـــة عبر المحيط • ثم لم يـــكن الا بعــــد منتصف القرن الثامن عشر ان انتقل مركز الثقل الصحفى من الموانى الى المدن • وأصبح لها طابع جديد يخالف الطابع التجارى البحت الذى كانت عليه من قبل • كما اصبحت الصحف تشــــتمل كذلك على بعض الأخبار المحلية للمدينة •

ثالثا ــ دفاع الصــــحافة فى ذلك الطور عن الحريه ، ثم ساندت الصحف زعماء الحرية من امثال « چيمس فرانكلين » ، « جون بيتر زنجر » • وقد قام الاخير بحملة عنيفة ضد احدى الولايات فقبض عليه الحاكم ومنع المحامين من الدفاع عنه • ولكن كبير المحامين فى فيلادلفيـــا تطوع للدفاع عما ســـــماه اذ ذاك « حق الاعتراض العلنى على مساوىء السلطة » • وقال ان هذه القضية ليست قضية الطابع ولا قضية الصحيفة ولكنها قضية الحـــرية • ولهـــذا حـــكم بالبراءة لزنجر • وكان ذلك اول انتصار لحرية الصحف الأمريكية.

رابعا ــ ومن سمات الصحف فى ذلك العهد كذلك ميلها الى احتذاء صحف انجلترا فى التحرير والاخراج ، ورغبتها فى تقليد كبار الكتاب الانجليز من امثال : ستيل وادبســـون وديفو • وكان الصـــحفى الأمريكى چيمس فرانكلين من اكبر الدعاة الى تلك الحركة •

ولقد عرض المؤلف لأبطال الصحافة الامريكية فى عهـــد الاستعمار وذكر اكثرهم • ولكن نسى الاشـــارة الى أخطر ثائر تزعم حركة الدفاع عن القضية الوطنية الأمريكية • ونعنى به « توماس پين » Paine ، ففى سنة ١٧٧٤ وفد هذا الثائر الى امريكـــا وقام على تحرير صـــحيفة (بنسلفانيا ما جازين) • وفيها كتب فى تفضيل الجمهورية على الملكية ، وشن اقوى حملاته على التفرقة العنصرية ، ودعا الى تحرير الزنوج ، كما دعا الى تحرير المراة • ويقول چورج ڤيل فى كتابه عن تاريخ الصحافة فى أوروبا وأمريكا : ان هذا الرجل لقى من النجاح ما اذهل الثوار انفســـهم وأدركوا معه جميل صنع القدر بهم اذ هداهم الى عبقرى مثله •

الصحافة الامريكية فى العهد الجمهورى

فى عام ١٧٩٨ بدأ حكم الاقطاع ينهار فى اوروبا بعد ان سيطر عليها نحوا من عشرة قرون • ودارت المناقشات حول نوع الحكم الذى يجب ان يسود امريكا • واشترك فى الجدل كل من هاملتون ، وجيفرسون ، وراندولف وغيرهم • وكانت الصحف جزءا من هذا التطور • وكان عصر الثورة قد جعل من الصحيفة ندوة • واصبح الصحفى الأمريكى محررا أكثر منه صاحب مطبعة فقط • واصبحت الدعاية ، فى الصحف وهى الساعد الأيمن لكل نشــــاط سياسى من جانب الأحزاب والهيئات العامة • وكانت الصحف تحصـــل على الأموال السرية من هذه الأحزاب • وكانت هذه الأموال تعطى للصحف على أنها معونات مالية ــ لا لشراء ذممها ولكن لمساعدتها على المضى فى خطتها الحزبية وتهيئة المجتمع الأمريكى لتغير افضل •

هنا اتسع المجال لظهور شخصيات جديدة فى عالم الصحافة منها شخصيات بنيامين راسل •

وكان من أكبر الدعاه لحركة اتحاد الولايات الأمريكية • وقد نشر فى صحيفة رسما يمثل (صرح الاتحاد) • وكلما تم تصديق ولاية من الولايات على هذا الاتحاد اضاف عمودا جديدا الى هذا الصرح !

كما شهدت الصحافة الامريكية كثيرين من العمالقة والنابغين فى هذا الميدان • منهم نوح ويستر الامريكى ، ووليم كولمان ، ووليم كالين ، وفيليب فرينو • وكان هذا الأخير يمتاز بثقافته الجامعية العميقة • وكان من دعاة الجمهورية • ومن شوامخ الصحافة اذ ذاك «بنيامين فرانكلين» حفيد فرانكلين الكبير • وكان عدوا لدودا للرئيس واشنطون • وكان يقول فيه : اذا كانت هناك امة يستطيع ان يفسدها رجل فان الأمة الامريكية قد افسدها واشنطون » •

الصحافة الامريكيه فى القرن التاسع عشر

بلغ عدد الصحف الأمريكية فى عام ١٨٣٠ سبعمائة صحيفة منها خمس وستون من الصحف اليومية • وفى عام ١٨٤٠ بلغ المجموع ١٤٠٤ منها ١٣٨ صحيفة يومية • أما التقدم الفنى لهذه الصحف فكان بطيئا وتحولت المستعمرات الى ولايات فقويت الروابط بين الصحافة والسياسة والنهضة وازدادت العنايه بالصحف السياسية• غير ان ذلك لم يؤثر فى حركة الصحف التجارية فان الهيئات السياسية تجىء وتذهب ولكن التبادل التجارى باق الى الأبد • من ثم أصبح ٦٠ ٪ أو ٨٠ ٪ من مادة الصحف اعلانيا بحتا • ومن تلك الصحف التجارية نبعت فكرة الدعوة الى انشاء وطن قومى لليهود (أبنـاء موسى المنكوبين فى الأرض) • فقد أعلن الصحفى اليهودى نوح عن عزمه على انشاء هـذا الوطن القومى فى الأرض المعروفة باسم (جراند ايلاند) فى نهر نياجرا •

وبالفعل انشأ مدينة هناك سماها (ارارات) • ودعا اليهود فى العالم كله اليها فلم يستجب له يهودى واحدا !

واخيرا نصل الى حركة التجديد فى منتصف القرن • فنجد هذا التجديد اثرا من آثار التقدم الصناعى الذى ساد البلاد بعد عام ١٨٣٥ • فتقدمت الصحافة فى اخراجها وظهرت فى صورة جديدة كل الجدة •

لقد كانت الصحف فى العهود الماضية عبارة عن أعمال اضافية يقوم بها أصحاب المطابع ومديرو البريد فى القدر الأول • وعندما اتسع المجتمع الامريكى فى القرن التاسع عشر ازداد اتجاهه نحو التخصص • فاصبحت هناك صحف سياسية واخرى زراعية وثالثة ادبية او فنية وهكـذا • وساعد التقدم الآلى على حرية الصحف • ولكنها حرية لها ثمنها كسائر الحريات الأخرى •

وانتشر البرق واصبحت المسافه بين اوروبا وامريكا تقدر باثنى عشر يوما فانعم ذلك على الصحافة بنعمة أخرى – عدا الحرية – هى نعمة الجدة • وبدأ الأمريكى فى النصف الثانى من القرن قصة غرامه (بالسرعة) •

وكان من آثار هذا التغير الواسع الذى طرأ على الحياة الامريكية أن ظهرت الصحافة الزهيدة الثمن – أو – (صحافه البنس) وتسمى كذلك (صحافة الجماهير) • وكانت أول تجربة ناجحة لها فى صحيفة(الفن)لصاحبها بنيامين داى صاحب مطبعة ماساشوستس ولاول مرة فى التاريخ قام بتوزيع صحف البنس باعة الصحف فى المدن• وكان هذا تجديدا له جهاد فى عالم الصحافه •

ونبغ فى تلك الآونة عدد كبير من رجال الصحف منهم على سبيل المثال : جيمس جوردون

بينيت (ابو الصحافة الحديثة فى امريكا) وصاحب (النيويورك هرالد)التى صدرت فى سنة ١٨٢٥. ثم هوراس جريلى صـــاحب جريدة النيويورك تريبيون الصادرة فى سنة ١٨٤١ . وقد افلح جريلى هذا فى تنبيه العالم الى انه من الواجب ان تكون للصحيفة اذن تصغى بها لشكايات المعـذبين فى الارض ، وان يكون لها قلب تحس به الاضطهاد والاهانة فى كل بقعة من بقاع هذه الارض ، وان يكون لها حس تستنكر به الجرائم التى تحدث فى اية لحظة من لحظات الحياة على هذه الارض،!!

ثم من شوامخ الصحافة فى ذلك القرن كولن برانييت صاحب جريدة البوست الصـــادرة فى سنه ١٨٢٩ . وكانت هذه الاخيرة جريدةلعليــة القوم . وكان توزيعها متوسطا لهذا الســـبب . ومن نوابغهم كذلك هنرى رايموند . وهو اشهر من كتب فى صحيفة النيويورك تايمز الصادرة فى سنة ١٨٥١ . وكان ظهورها حدثا هاما فى تاريخ الصحافة .

ومنذ ذلك الوقت احس الناس ان انشاء جريدة قد اصبح باهظ التكاليف . وهنا اتجه التفكير الى ما يسمى : « بالتكتلات الصحفية » – نعنى ظهور الجرائد والمجلات فى كتل تضم كل كتلة منها عددا من تلك الصحف ، يساعد الغنى منهـــا الفقير والقوى منها الضعيف دون علم من القراء انفسهم.

ظهور المندوب الصحفى فى الميدان

وقبل الكلام عن هذه التكتلات يجمل بنـــا أن نشير الى الدور العظيم الذى قام بـه شخص جديد طرا على ميدان الصـــحافه وهو « مندوب الاخبار » الذى يجلب لها هذه الاخبار من الأماكن القريبة والبعيدة .

والواقع انه لم يكن هناك فرق واضح بين صحف الاقاليم والصحف الكبرى غير (الاخبار) وقدرة الصحف الكبرى على تغطيتها الى الحد الذى تعجز عنه صـــحف الاقاليم . ثم كانت الحرب الاهلية معطة تحول فى عملية استيفاء الانبـــاء . فقد ذهب اكثر من مائة مراسل الى ساحة القتال. وانفقت (النيويورك هرالد) وحدها نصف مليون جنيه لتغطية انباء الحرب . وبظهـــور مندوب الاخبار ظهر منافس خطير للصحفى الأمريكى سواء كان هذا الصحفى صاحب مطبعـة ، أم كان من الكتاب الموهوبين ذوى الثقافة العالية . اذ ذاك كان المندوب الصحفى ينجه الى ان يكون جنديا من جنود المشـــاة فى الخطوط الامامية لجيش صاحبة الجلالة الصحافة . واتسع المجال امام هؤلاء المندوبين او المراسلين لكى يدونوا فى السجل الصحافى فصولا هامة فى تاريخ الراى العـــام الامريكى .

عصر التكتلات الصحفية او عصر الامبراطوريات فى ورق الصحف

وفى ختام القرن سيطرت على مجالس الصحف طبقة جديدة قل فيها السياسيون والادباء ، وحل مكانهم اصحاب الملايين ورءوس الاموال . وصادف ذلك تقدم الطباعة . فلم تات سنه ١٨٩٥ حتى كانت شركة (هو) تملك آلة للطباعة تضم ثمانى اسطوانات كل واحدة منها تتسع لاربع صفحات وتنتج فى الســـاعة اربعـة وعشرين الف نسخة لجريدة من اثنين وثلاثين صفحه . أما الورق فقد ارتفع انتاجه فى نهاية القرن وانخفض سـعره . ثم ظهرت آلة اللينوتيب التى تصف الحروف صفا (اوتوماتيكيا) اى تلقائيـــا ثم ترفع الحروف لتستخدم فى السطر . ثم تصب الحروف المستعملة مرة اخرى وهكذا .

لذلك اضطر أصحاب الصحف الى الاستدانة. ولجاوا كذلك الى الاعلان . وظهرت حاجتهم الماسة

الى رءوس الاموال · وبدا ذلهم للقارىء · فراحوا يغرونه بالاثارة ونشر الفضائح الكثيرة . وكان من دعاة هذا الضرب الاخير من الصحف : « جوزيف بوليتزر » في جريدة (نيويورك ويرلد) الصادرة في عام ١٨٨٣ · وكان بين رسوم هذه الجريدة رسم يمثل طفلا في قميص اصفر اللون فضفاض اطلق عليه المحرر اسم « الغلام الاصفر » وهو الذى اوحى بعد ذلك باسم الصحافة الصفراء وهو اسم يطلق على الصحـــافة التى تبنى على الاثارة ·

وفي سنة ١٨٩٥ ظهر لبولتزر ، منافس خطر هو : هيرست مضى في خطة الاثارة مذ كما تقدمت سنة من عمره وهو يكشف فضـــائح ١٠ اخطاء الامريكي ويمثل الصحافة الصـفراء في ازهى صفرتها ·

بهذه الطريقة تحول النفوذ الصحفي من كاتب المقال الى كاتب الاخبار – أو على الاصح – كاتب التحقيقات الصحفيه وهى الفن الصـحفى الذى استحدثه القرن العشرون واصبحت له الصولة الحقيقية في ميدان صاحبة الجلالة الى اليوم ·

الدكتور عبد اللطيف حمزة



سطور من كتاب ....

عجبت للقوم : اطمـــاع مفرقـة
قد ضـمها لاغتيـــال الشرق آراب

ابن البتول الطهور الحى قد نسيت
آلامه ، وتناسى الغدر اصـــلاب

تحـــالفت عصـــبة منهم يقودهم
عـــاد على الحق نهـــاز ووثاب

تحالفت وفلول الغـــدر ، واتمرت
فالضـــد للضد انصـــار واحباب

موسى وعيسى بـــراء من شرورهم
فما لهم في اصول الخير انســـاب

··· صدى ونور ودموع

بينبت (أبو الـ
(النيو

وم عند العرب

تأليف : قدري حافظ طوقان

الناشر مكتبة مصر بالاشتراك مع مشروع الالف
كتاب ٢٣٨ صفحة قطع متوسط



يعرفنا هذا الكتاب بمشاهير علمائنا العرب وما خلفوا من تراث علمي يعتد به • وهو يتكون من بابين قوام اولهما ستة فصول يبين فيها المؤلف مآثر العرب في علوم الطب والصيدلة والكيمياء والاحياء والفيزياء والرياضة والفلك والجغرافيا، وهي تتضمن مجموعة ما انقسمت اليه العلوم الاساسية في العصر الحديث ، مما يدرس في الجامعات . وفي الفصل الاخير من هذا الباب تعقيب طريف عن النزعه العلمية في تراثنا العربي. اما الباب الثاني فهو انما يتضمن نبذات موجزة عن مشاهير العلماء من أمثال جابر بن حيان ، والخوارزمي ، والكندي ، والجاحظ ، وثابت بن قرة ، وابو بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سيناء وابن الهيثم ، والبيروني ، وابن حزم الاندلسي ، والغزالي، والادريسي، وابن النفيس، وابن البيطار، والطوسي ، وابن خلدون •

والحق لقد بذل المؤلف جهدا ظاهرا حيال نقطة بالذات ، وهي أن يدلل بالحجة الدامغة أن العرب قاموا بدورهم في بناء صرح الحضارة وخدمة العلم بما تم على أيديهم من اعمال جليلة في شتى الميادين والمجالات التي كانت بمثابة الأسس التي وضعت بذور النهضة العلمية الحديثة ، وأنهم حملوا راية العلم عالية خفاقة ، واطلقوا العنان للتفكير الحر السليم ابان حضارتهم وانقذوا تراث الاغريق وغيرهم العلمي من الاندثار ابان العصور الوسطى المظلمة التي شن الغربيون فيها حربا لاهوادة فيها كادت أن تقضي على معالم تلك الحضارات بشتى الطرق •

وكان الدافع الذي حفزه على كتابة هذا المؤلف القيم الذي يمتد به اعتقاد الكثير من الناس سواء في الشرق أو في الغرب أن العقل العربي لم يقدم

فى جميع مراحله خدمات علمية جليلة يعتد بها ، على غرار ما فعل الغربيون على يد أمثال جوهان كبلر ، واسحق نيوتن ، ولوى باستير مثلا • وهو يعزو هذا الجهل لفضل العرب الى تحايل بعض مؤرخى الفرنجة ، اما عن قصد منهم او عن جهل لديهم ، باغفال هذا التراث ، كل ذلك الى جانب اهمال العرب انفسهم لتراثهم وتاريخهم المجيد ، اللهم الا اذا استثنينا بعض الكتاب المعاصرين من العرب والفرنجة المنصفين من امثال سارطون، ونيكلسون ، ودى‌فو ، وكاجورى ، ووايدمان ، وماكس مايرهوف ، وكمستون ••• مما يحملنا على الجزم بانه لولا جهود العرب التى بذلت فى ميادين العلم والمعرفة لبزغ فجر النهضة الأوربية فى القرن الرابع عشر من نفس النقطة التى بدأ منها العرب نهضتهم العلمية فى القرن الثامن الميلادى •

ومهما يكن من شىء فان الذى يقرأ الكتاب انما يخرج بالنتائج الهامة الآتية :

١ ـ لم يكن العرب مجرد حملة لمشاعل الثقافة الاغريقية نقلوها او ترجموها دون اضافات اصيله تمت على ايديهم •

٢ ـ توفرت لدى العرب العقليات التى يعتد بها ، والتى تضاهى ما يفاخر به الغربيون ويضربون به المثل من آن لآخر فى كتاباتهم ومؤلفاتهم • هذا كما ثبت انهم قابلون تماما لهضم الحضارات المختلفه ومسايرتها ، بما يتوفر لديهم من ذكاء وحيوية وخيال خصب فسيح ، وحرية تامة مطلقة لاتتقيد بعقيدة خاصة ولاترتبط باملاء معين •

٣ ـ كان العرب من ذوى العلم التجريبى ، الذى يقوم على أسس المشاهدة والقياس ، والذى هو دعامة النهضة الحديثة فى أوروبا •

٤ ـ استحدث العرب كثيرا من العلوم كما انجزوا العديد من الاضافات ، مثل الاحصاء ، والعشرى ، واستعمال الصفر لنفس الغرض الذى نستعمله له الآن ، واستعملوا الجبر بعد ان وضعوا اسسه ، وصاغوا حساب المثلثات فى قالب علمى منظم مستقل عن الفلك ، مما حمل بعض الكتاب على اعتباره علميا عربيا • هذا كما تقدمت العلوم الجغرافية على أيديهم ، بان صححوا اخطاء بطليموس ، وكشفوا عن مناطق لم تكن معروفة فى بعض القارات القديمة • وهم أول من وضع اصول الرسم على سطح كروى • أما فى الكيمياء فقد عرفوا التقطير والترشيح والتبلور ، وكشفوا بعض الحوامض والمركبات الكيميائية • ولهم السبق فى تحضير حامض الكبريتيك ، وحامض الازوتيك ، وماء الذهب ، والصودا الكاوية • هذا كما حصلوا على الزرنيخ وغيره من المواد التى تستخدم فى الصناعات الحديثة ، لصناعة الصابون ، والورق، والاصبغه ، والمفرقعات ، والأسمدة الصناعية •

٥ ـ لم يقف العرب عند حد الشرح ، بل خرجوا الى منهاج جديد فى بعض البحوث الفلسفية• ولقد سلك فلاسفتهم مسلكا مستقلا غير تابع لما فسر به القرآن •

٦ ـ اما فى مجال الفلك فقد وثبوا وثبات جبارة ، بان نقلوا كتب الأقدمين من الاغريق والفرس والسريان والهنود ، وصححوا ما فيها من اخطاء مع التوسع الى حد بعيد • وتمت على ايديهم كشوف جليلة ، كان أساسها الرصد الفعلى وليس مجرد النظريات الخيالية • كل ذلك بالاضافة الى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم الذى كان مستحوذا عليه • وهم اول من اوجد بطريقة علمية اطول درجة من خط نصف النهار•

٧ ـ ولم تكن الفيزياء اقل نصيبا من غيرها من العلوم كما يدعى أغلب كتاب الفرنجة• فقد كانوا أول من نادوا بالأخذ بالاستقراء والقياس



والتمثيل ، ولزوم رصد ماهو قائم فعلا فى عالم الطبيعة • وعلى هذا الأساس وصل العرب فى علم البصريات (الضـــوء) الى اعلى المراتب • ويعتبر ابن الهيثم رائد هذا العلم فى مســتهل القرن الحادى عشر الميلادى •

٨ ـ انقذ العرب علوم الطب من الاندثار ، وجعلوا الجراحة قسما منفصــلا من اقسامها ، وانشأوا المستشـــفيات • كل ذلك الى جانب تشييد أسس الصيدلة وانشاء مدارسها • وقد استنبطوا العديد من العقـــاقير ، وشرحوا طرق استخدامها لمداواة المرضى •

ولقد كانت للعرب اساليبهم المتطورة التى يسلكونها فى كتاباتهم • فهى فى صدر الاسلام غيرها فى العصر العباسى الذى ازدهرت فيـــه العلوم ، الا انهم تميزوا دائما بالدقـــة وتحرى الحقيقه قدر المستطاع • ولعل الذى اثار فيهم تلك الروح جمع الاحاديث النبوية • هذا كمـــا دخلت اصول المنطق الذى نقـــلوه عن الاغريق ضمن أساليبهم ، وسيطرت الى حـــد بعيد على كثير من علمائهم •

وكان طبيعيا أن تتباين الأساليب وتختلف بتباين العلماء والكتـــاب : فمنهم من جمع فى اسلوبه بين الادب والعـــلم ، ومنهم من تميزت كتاباته بالدقة والوضوح ، كما سار آخرون فى بحوثهم التى شملت مختلف الفروع على منهـــاج لايختلف كثيرا عن الطرق الحديثة ، مما يدل على انهم عرفوا مثل هذه الطرق التى تعد من مبتكرات هذا العصر • وحتى فى البحوث الدينية سلك بعض علمائهم مسلكا علميا فيما وضعوا من رسائل يعتد بها •

وعلى أيه حال ، فان اهم مميزات كتاباتهم الجمع بين العـــلم والادب • او الأدب ونواحى المعرفة الأخرى كالفلسفة والتاريخ • فتجد من بين علمـــائهم من جمع بين روائع الادب ودقائق العلم ، كما هو الحال فى كتاب الخوارزمى فى الجبر مثلا ، حيث يفرغ المؤلف المادة الرياضية فى أسلوب اخاذ ينم عن ادب رفيع • هذا كمـــا ان كتب البيرونى انما تبين فى جلاء ووضــــوح تعانق الأدب والرياضيات ، على غرار ما جاء فى كتابه (التفهيم لاوائل صناعة التنجيم) • وكان للجاحظ فضله على الأدب والفلسفة معـــا ، فرسائله واضحة الأسلوب غريزة المعنى لهـــا مالها من الموضوع والشكل • وحتى رسالته فى الهجاء استطاع أن يجعل لها موضوعا علميا •

وعندما نسير هكذا مع الكتاب من صفحـــة الى أخرى تجد العديد من الامثلة التى توضـــح النزعة العلميه فى التراث ، العربى ، والميل الى التجديد والتحرر والايجاز والتعمق ، والنظام والجراة فى الراى ، والاخلاص للحق والشـــك والتجربة • ومن علمـــاء العرب من تميز فى أسلوبه بالتوفيق بين الشريعة والفلسفة ، كمـــا فعل ابن رشد الذى اشتهر بالنقد • وقد اقتبس الغربيون من فلسفته ما حملهم على حل عقـــال افكارهم ، وفتح أمامهم ابواب البحث والمناقشة، وساعد على ذلك الشك والتجربة اللـــذين نادى بهما نفر منهم كما يقول أبو هاشـــم النصرى : (الشك ضرورى لكل معرفة) • أما من حيث الدستور الذى وضعه بعض العلماء العرب للبحث العلمى والفلسفى فقد وصفه فريق من العلماء بأنه اسلوب محكم رائع ، وربما كان وليد المنطق الذى ورثوه عن الاغريق ، أى انه مســـتمد من اصل اغريقى قديم ، الا انه بطبيعة الحال ليس فى ذلك ما ينقص من قدرهم العلمى ، فالعـــالم دائما انما ينقل عن غيره ويزيد عليه ما استطاع الى ذلك سبيلا •

ونحن نعود لنؤكد مرة اخرى انه وجد من بين علماء العرب من كشف عن عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن كما فعل ابن الهيثم فى علم البصريات ، الذى اذا ما عثرنا فيـــه على بعض النقص او العيوب فذلك امر طبيعى فى البحث العلمى • أما من حيث التعريف بعلمائنا العرب كما جاء فى الكتاب فهذا امر يطول شرحه ، ولسنا فى مقام سرد اعمالهم ، الا اننا نكتفى هنا بسرد ما جاء على لسان بعض الفرنجة والمحققين العرب

١ ـ جابر ابن حيان : (... ان لجابر بن حيان

فى الكيمياء ما لأرسطو فى المنطق ...)-برتيلو -.

٢ - الكندى : (... الكندى من الاثنى عشر عبقريا الذين هم من الطراز الأول فى الذكاء) - كاردانو - .

٣ - البتانى : (... من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله) - لالاند - .

٤ - ابن سينا : (... ابن سينا أعظم علماء الاسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين ...) - سارطون - .

٥ - ابن الهيثم : (قلب الأوضاع القديمة ، وانشأ علما جديدا أبطل فيه علم المناظر ، وانشأ علم الضوء الحديث ، وان أثره فى الضوء لايقل عن أثر نيوتن فى الميكانيكا) - مصطفى نظيف - .

٦ - الغزالى : (... الغزالى أعجب شخصية فى تاريخ الاسلام ... - دى بور - .

٧ - الادريسى : (... ان كتاب الادريسى فى الجغرافيا أعظم وثيقة علمية جغرافية فى القرون الوسطى ...) - دائرة المعارف الفرنسية - .

٨ - ابن رشد : (... ابن رشد فيلسوف متين متعمق ، صحح كثيرا من اغلاط الفكر الانسانى ، واضاف الى ثمرات العقول ثروة قيمة لايستغنى عنها بسواها ...) - بيكون -

٩ - الخازن : (... ان كتاب ميزان الحكمة للخازن من أجل الكتب العلمية واروع ما انتجته القريحة فى القرون الوسطى ...) - سارطون -

١٠ - ابن خلدون : (... ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ . وهى بلاشك أعظم عمل من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان ومكان ...) - توينبى - .

والنقد الوحيد الذى يمكن أن يوجه الى الكتاب هو الاسراف فى المدح دون ذكر النقائص وتفاصيلها . ولعلنا نلمس من تراثنا العلمى القديم جانبا من المزج بين فروع العلم والمعرفة المختلفة ، الى جانب ما للأوهام القديمة من أثر وعدم الفهرسة السهلة التى تجعلك تقف على ما تريد فى لحظات كما نفعل اليوم فى كتبنا العلمية .

الدكتور محمد جمال الدين الفندى



الشعـر والتأمل

تأليف : روستريفور هاملتون



كان مؤلف هذا الكتاب أمينا حقا حينما قال فى اول عبارة له من مقدمة كتابه : « منذ فترة لا تزيد كثيرا على عامين خيل الى انه لا بأس من أن اشتغل بنقد الشعر فى المجالات الادبية وهى مهمة لم اضطلع بها من قبل ، لذلك اخذت ادرس المبادىء الاولية للنقد .. » . ولكن اليس من المفزع حقا أن يبدأ انسان لا علاقة له بالنقد فى دراسة المبادىء الأولية فاذا هو بعد مضى عامين يؤلف كتابا فى النقد يحمل هذا العنوان الخطير « الشعر والتأمل » ؟ وليت الكتاب مع ذلك ينم على التواضع الخليق بمثل مؤلفه ؛ فهو يهاجم فى عنف وقسوة الناقد المشهور أ . أ . رتشاردز فى كتابه « مبادىء النقد الأدبى » ويسفه آراءه ، حتى ليخيل لقارىء الكتاب — حين يفرغ منه — انه قرأ مقالا مسهبا فى نقد رتشاردز .

ولست ادعى ان رتشاردز فوق النقد ؛ فهو صاحب نظرية قد تقبل وقد ترفض ، ولكن ليس من العدالة ان يتسلق كاتب على كتفيه ثم يقصم ظهره . ورحم الله شاعرنا القديم حين قال :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

غير ان هاملتون — مؤلف الكتاب — لم يكن ساعده قد اشتد حين رمى رتشاردز بالجهل والخطأ ، ولكنها — للأسف — آفة الاشتغال بالنقد ؛ فما أيسر أن يقرأ انسان كتابين أو ثلاثة كتب فى « المبادىء الأولية » للنقد حتى ينصب نفسه ناقدا ومؤلفا فى النقد ، وحتى يقذف الرؤوس بالحجارة . وكان اولى بهاملتون أن يتريث كثيرا قبل ان يقدم على التأليف فى نظرية الشعر حتى تنضج فى نفسه الخبرتان التجريبية والتحصيلية على السواء .

لقد كان طموح هاملتون فى هذا الكتاب اكبر من قدرته ؛ فقد أوقع نفسه فى ميدان تلتقى فيه دراسات شتى ، جمالية ، ونفسية ، وخلقية ، واجتماعية ، فضلا على الخبرات الفردية الكثيرة فى هذا الميدان ، الناتجة عن التجربة العملية . ولهذا كان طبيعيا أن نجده كثير الاضطراب فى هذا الميدان الزاخر بالمعرفة والخبرة ، يريد أن يشق لنفسه فى هذا الزحام طريقا ولكنه ما يكاد يخطو خطوة حتى يتراجع خطوتين ، ويظل هكذا حتى اذا اجمل لنا فى النهاية وجهة نظره احسسنا انه يقدم الينا مسلمات أولية او بدايات افكار تحتاج الى متابعة وتعميق وتأصيل .

وبسبب هذا الاضطراب وعدم وضوح الرؤية وتسلسل الفكرة اكتسب الكتاب شيئا من الصعوبة ؛ فكثير من الفقرات ، بخاصة تلك التى يناقش فيها رتشاردز ، يصعب الخروج منها بفكرة او راى أو معنى واضح ، بل اننا لا ندرى فى بعض الأحوال أهو ينقض ما يقول به رتشاردز أم يأخذ به . وقد يخطر لنا هنا دور المترجم ، فنتوقع أن الترجمة ذاتها كان لها دخل فى هذا الاستغلاق ، وهذا شىء لا يمكن أن ننفيه ، وسوف نرى امثلة تؤكده ، ولكن المؤكد كذلك أن المؤلف نفسه لم يكن واضحا فى تفكيره وفى مناقشاته الجزئية ، فى المادة التى بنى منها فصول الكتاب ، وان كان واضحا فى النتائج التى لخص بها الكتاب . وطبيعى أن وضوح النتائج لا يشفع لغموض المقدمات ، فربما كانت

ترجمة : الدكتور محمد مصطفى بدوى

مراجعة : الدكتورة سهير القلماوى

الناشر : المؤسسة المصرية العامه للتاليف والترجمة والطباعـة والنشر ، ٢٣٠ ص قطع متوسط . ث ٢٥ قرشا .



طريقة استخراج هـذه النتائج اهم لدينـا من النتائج ذاتها ، بخاصـة اذا كانت هذه النتائج ـ كما قلنا ـ لا تعدو أفكارا اولية فى النقد بعامة وفى نظرية الشعر بخاصة .

اننا نستطيع أن ندرك من تلك النتائج ـ على سبيل المثـال ـ أن موقف المؤلف من نظرية الشعر موقف جمالى صرف ، حـين يقول لنا « ان مركز الدراسة فى نظرية الشعر هو طبيعة التجربة الشعرية فى ذاتها ولذاتها » (ص ١٠٣) . ونجد فى الفصل الأول عبارته التى يشرح فيها هـذا المعنى حين يقول : « وقيم الشعر كغيره من الفنون الأخرى متميزة عن قيم الأخلاق ، كما هى متميزة عن قيم التفكير . وينبغى الحكم على الشعر من حيث هو شعر طبقا لنوع التجربة الخياليـة التى يمدنا بها فحسب ، ولا يجوز الحكم عليه بمعيار ما فيه من خير خلقى ، او بمعيار صدقه بالنسبة لشىء يقع خارجـه » . (ص ١٩) هذا الموقف الجمالى الواضح سرعان ما يتزعزع ـ أو يبـدو انه يتزعزع حينما نقرا قول المؤلف (ص ٢١) : « ومن المسلم به حين يتوافر لدينـا احساس جاد بالقيم يصبح فى مقدورنا عادة أن نقبل من أجل التجربة الخيالية موقفا خلقيا او دينيا خاصا يؤمن به الشاعر حقا ويعارض موقفنا كلية » . انراه يعنى ان هذه القيم التى يؤمن بها الشاعر حقا لا دخل لها فى تجربته الجمالية ابتداء وانها قيم منفصلة ؟ هذا ما يعنيه المؤلف بعينه ، وهو عندئذ يجد نفسه قد تورط فى مزلقين :

الأول : هو ضرورة أن تتم التجربة الشعرية بعيدا عن معتقدات الشاعر والقيم التى يؤمن بها ،



أو تنقل عن موقفه العام من الحياة ، ولا يستطيع احـد ان يتصور فى الواقع هـذا النوع من التجربة .

والثانى : هو ان نشتق معـايير الحكم على التجربة الشعرية من ذاتهـا ، وهو الأمر الذى فشل المؤلف نفـسه فى الوصول اليه . وقولنا ان قيمة التجربة الشعرية كامنة فى ذاتها لا يعنى أن التجربة منفصلة عن الحيـاة بقوانينها . وما يقول به المؤلف بعد ذلك من اختلاف التجربة التاملية عن التجربة العادية لا يغير من حقيقة أن القيم التى توزن بها هـذه التجربة وتلك ليست قيما شكلية صرفا بمقدار ما هى قيم تتعلق بالمضمون .

ولهذا نجد المؤلف قد عاد فى نفس الصفحة يقول : « وبالاجمال فان طبيعـة معتقداتنا لها تاثيرها ـ ولن اقول لها تاثيرها الكبير ـ على مستوى تجربتنا . اما نوع تجربتنا فلن يتاثر فى شىء مهما يكن عقم نظريتنـا فى العالم ؛ فنحن سنظل ننتج ونستمتع باشياء جميلة حتى حينما تكون نظريتنا فى الأخلاق والميتافيزيقا مجدبة . وفى الواقع أن مستوى الابداع والاستمتاع على السواء سينزع حينئذ الى الهبوط ؛ فقد نتردى فى هوة « الفن لأجل الفن » التى يقصر فيهمـا الفن اهتمامه على القيم الحسـية مجردة من الحيـاة . ولـكن حتى لو اصبحت التجربة الشعرية مقصورة على الكمال الشكلى السطحى الثانوى فانهـا ستظل حينئـذ من نوع متميز

من التجارب الأخرى ، باعتبارها متعة خيالية خاصة يولدها نظام معين للكلام ؛ ومن حيث أنها كذلك تكون جديرة بالدراسة الخاصة التى ستقوم بها نظرية الشعر » .

وهكذا يضطرب المؤلف بين التسليم — الى حد ما — باهمية القيم التى يؤمن بها الشاعر فى تكييف تجربتهالشعرية وبين التجربة الشعرية منفصلة تماما عن هذا النوع من القيم . وهو يبرر لنفسه هذا الاضطراب بحديثه عن « نوع التجربة » و « مستوى » التجربة » وهو تمييز مفتعل ، وفصل بين شيئين غير منفصلين ؛ فليست نوعية التجربة كافية للحكم ، لأنها لا تتضمن التنويع اللانهائى الذى تشمله الأحكام النقدية ، وهى لذلك خارجة عن ميدان التقدير ، وانما يفتح الباب لهذا التقدير اعتبار مستوى التجربة الخيالية التى تقدمها القصيدة . وبعبارة موجزة نقول : اننا لا نستطيع ان نحكم على التجربة الا بمقدار ما تعطينا .

ويعود هذا الاتجاه الجمالى الشكلى الصرف مرة أخرى للاضطراب حين يتحدث المؤلف عن موضوعية الجمال فيرفض أن يكون الجمال موضوعيا ، فى حين ان القول بموضوعية الجمال هو القول الذى يتسق واتجاهه . فما دامت قيمة التجربة فى ذاتها ولذاتها ، وما دامت التجربة القاصرة على « الكمال الشكلى » ما تزال تجربة من نوع متميز من التجارب الأخرى باعتبارها متعة خيالية خاصة » فالمفهوم عندئذ ان تكون القيمة الجمالية قائمة فى الشىء ذاته وليست قيمة خارجية نستكشفها فيه أو نضفيها عليه ، اى ان يكون الجمال موضوعيا . ولكننا نجد المؤلف يتناقض مع نفسه حين ياخذ فى مناقشة رأى « ستيردج مور » الذى يقول : « ان الجمال لا يقل موضوعية عن الضوء ، وان كان اعجابنا به يتوقف على كمال ملكاتنا مثلما يتوقف ادراكنا للضوء على سلامة اعيننا » ؛ فهو يرد عليه بقوله : « ليس الضوء ولا الجمال موضوعين ، بمعنى انهما موجودان من حيث هما ضوء أو جمال مستقلين عن الذات . وحين نصف الضوء بأنه موضوعى فاننا نقصد هذا المعنى المحدد ، وهو ان ادراكه لا يختلف من ذات الى أخرى ولكنه مشترك بين الذين لهم رؤية سليمة جميعا . **ولكن الجمال ليس موضوعيا حتى بهذا المدلول الضيق** ، وذلك لأن ادراكه يختلف من ذات الى اخرى وليس هناك فعلا عامل مشترك بين هذه الادراكات المتباينة » . (ص ٥٩) .

ثم يمضى المؤلف فى البرهنة على أن الجميل فى ذاته غير قائم . فالصورة الجميلة فى ذاتها غير موجودة ؛ « لانه يستحيل أن توجد بهذا المعنى منفصلة عن علاقتها بذات واعية . . . ومن الطبيعى أن يعتقد الناس عامة ان الصورة ببساطة موضوعية وذلك لأن الذات تبدو سلبية تماما ، وماعلى المرء الا أن يفتح عينيه لكى يراها ، ولكنه من الواضح أن الصورة ليست موضوعية بمعنى انه من الممكن أن نستغنى فيها عن الذات » . (ص ٦١) .

وكل هذا الجدل يعنى فى وضوح أن المؤلف قد تراجع عن فكرته السابقة فى « الكمال الشكلى السطحى » بوصفه القيمة الثابتة للتجربة الخيالية حين تتحقق فى عمل فنى كالقصيدة مثلا ؛ فلم يعد « نوع » هذه التجربة كافيا ، لانه لابد من ذوات مختلفة تتلقى هذه القصيدة اولا ، ولابد أن تختلف هذه الذوات فى مدى رؤيتها وتقديرها أخيرا . ولا أحسبه بهذا قد ذهب الى أبعد من النظرية التوفيقية بين الذات والموضوع فى ادراك الجمال . فهو يقف وسطا بين نظرية أفلوطين التى تقول : « ان النور ذاته يتلاشى اذا لم يوجد فى العالم سوى عميان » والنظرية الموضوعية التى تقول ان الصورة المعلقة على جدار احد المتاحف ستظل هناك محتفظة بقيمتها الجمالية وان لم نبصرها أو أن نحن مررنا بها مر الكرام .

والحق لقد أجهد المؤلف نفسه — دون طائل — لكى يتخذ لنفسه موقفا وسطا غير الموقف المشهور ، فاذا هو يضطرب بين الموقف الجمالى الصرف وهذا الموقف الوسط بين موضوعية الجمال وذاتيته . وهو يصوغ هذا الموقف صياغة نهائية حين يقول : « ان الجمال فى

موضوع التجربة الجمالية ، فحينما تكتمل هذه التجربة ننسى أنفسنا ويكاد يختفى التمييز بين الذات والموضوع ، اذ نفقد ذاتنا فى الموضوع ونستمتع بنشوة التأمل (بالمعنى الدقيق لكلمة نشوة) بعيدا عن الفعل وبعيدا عن التفكير ، مهما اسرع التفكير والفعل فى أن يتبعا هذه التجربة » وان الموضوع الذى نتأمله ليس الا الثورة الحاضرة لشعورنا » . (ص ١٢٦ — ١٢٧) .

وكما يظهر الاضطراب فى الجانب النظرى من هذا الكتاب تتضح كذلك صورة منه عند الأمثلة التطبيقية . وسنقف عند مثال من دراسته العملية . فقد اورد عن (سيمونز) خبرا يقول ان (ارنست دوسون) يقر بأن مثله الأعلى فى الشعر هو هذا البيت للشاعر الأمريكى (بو) "Poe"

The viol, the violet, and the vine

كما أنه كان يرى ، وهذا واضح من تفضيله لهذا البيت ، « ان الحرف « v » هو اجمل الحروف فى اللغة الانجليزية ، وأنه لا يمكن للشاعر أن « يفرط فى استخدامه فى شعره » .

وواضح ان المؤلف يشايع هذا الرأى الذى يجعل لأحد حروف اللغة جمالا خاصا ، بل يجعله اجمل حروف اللغة ، أى أنه يتسق فى هذا مع وجهة النظر القائلة بموضوعية الجمال . ثم اذا هو يواجه رتشاردز اذ يقول : « لا توجد مقاطع او حروف متحركة تتصف بطبيعتها بالحزن او الفرح وان ذلك العدد الكبير من النقاد الذين حاولوا تحليل آثار القطع الأدبية الى ما تتألف منه من حروف ساكنة ومتحركة انما كانوا يقومون بعملية مسلية فحسب ... ولا يحدد الصوت ذاته طريقة تأثيره بقدر ما تحددها الظروف التى يدخل فيها هذا الصوت » (ص ٩٣ — ٩٤) وهو رأى يبدو لنا سليما ورصينا ، وهو يتمشى مع النظرية الجمالية المعقولة وهى أن الجزء فى ذاته لا يوصف بالجمال أو القبح ، وانما يحدد قيمة وصفه ودوره فى السياق العام . ولكننا نجد المؤلف وقد ووجه بهذا الرأى السديد يحتال للوقوف الى جانب الرأى الأول ونقض رأى رتشاردز فيقول : « ويبدو لنا جليا أنه اذا عدنا الى بيت (بو) استطعنا أن نحصل على تجربة جمالية منه ، تجربة يحتل فيها الصوت مكان الصدارة فى اهتمامنا . وليست الصورة البصرية أو الايحاءات التى تقع فى مؤخرة التجربة بحيث انها ستؤثر كثيرا (كذا) فى طريقة تأثرنا بالصوت أو ستزعجنا وتشتت اهتمامنا وتحوله بعيدا عنها . وحينما يتسق الاهتمام غير الجمالى تجربتنا نستطيع ان ندرك على انفصال تكرار الحرف « Y » ، الا اننا لا نستطيع أن ننتقل من ادراكنا العقلى للحرف « Y » الى تذوقنا الجمالى له ؛ فلا يوجد حرف ساكن « جميل » أو حرف متحرك « فرح » منفردا . وبهذا المعنى نجد ان الدكتور مصيب فى قوله وان ملاحظته لها قيمتها . ومع ذلك فحينما نقارن بيت (بو) بأبيات أخرى تتميز بغلبة الحرف « Y » فمن المرجح أننا سنتفق على ان هذا الحرف له قيمة خاصة باعتباره عنصرا من العناصر التى يتألف منها صوت الشعر ، وانه على نفس المنوال توجد حروف متحركة أو مقاطع معينة يبدو أنها وان تكن فرحة فى ذاتها يسهل ادخال الفرح فيها عن غيرها » . (ص ٩٥) .

ففى هذا المثال التطبيقى يتضح لنا مرة اخرى كيف أن المؤلف يشايع القول بأن الجمال خاصية فى الشىء ذاته ، وان استمتاعنا بالشىء الجميل يرجع الى تلقينا المباشر له من حيث هو ، دون دخول اى نوع آخر من الاهتمام ، سواء أكان عقليا ام خلقيا . وهو اذ يتفق مع رتشاردز فى رأيه لا يصنع ذلك الا ليعود الى نقضه دون اى مناقشة مقنعة .

ولكى يتسق المؤلف مع نفسه نجده يذهب الى أن الشاعر لا يقدم الينا تجربة واضحة فى نفسه أو معروفة له ؛ فهو حين يبدع يصنع شيئا آخر مخالفا تماما لتجربته الأولى . ان القصيدة — عنده — تجربة جديدة دائما ، حتى بالنسبة للشاعر نفسه . وبناء على هذا يكون من العبث أن نحكم على القصيدة بشىء وراءها نفترضه ، بشىء وراء الألفاظ وتنسيقها الخاص فى القصيدة .

والمؤلف يصنع هـــذه المقدمات لكى يصل مسألة جوهرية فى الفن بصـــامة ، وهى مسألة توصيل التجربة . أيقصد الشاعر حقا ان يوصل الينا تجربة بعينهـــا حين يقدم الينا قصيدته ؟ يقول المؤلف « من الأجـدى الا نعتبر الشاعر موصلا وانما نعتبره خالقا ؛ فهو حينما ينجح فى خلق شيء لنفســـه لا داعى له لأن يقلق على الايصال ، اذ ان قصيدته تصبح حينئذ ايصالا بالضرورة ، بمعنى انهـــا توفر للقــراء الذين لا تختلف اذهانهم فى تركيبهـــا اختلافا شاسعا عن ذهنه ، تجربة جديدة قيمة تشبه الى حد ما التجربة الجديدة القيمة التى يعطيهـــا لهم » . (ص ١٧٧) .

وخلاصة هذا القول ان الشاعر لا يخلق لأحد وانما هو يخلق لنفسه ، وهو لا يريد أن يوصل أى نوع من الخبرة سوى الخبرة الجمالية الماثلة فى كمال الشكل الفنى الذى ينجزه . وهى فكرة هزيلة تثبت التجربة عكســـها ؛ فقــد أحس الشعراء على الدوام أنهم أفراد فى جماعة وانهم يبدعون من أجل هذه الجماعة . وليس الشعر مجرد خبرة جمالية وانما هـــو كذلك خبرة انسانية . ولا أحسب كبار الشعراء يريدون – ولا نحن – أن نكتفى بتأمل الشــكل الجميل الذى يقدمونه الينا ؛ فالمؤكد أنهم كانوا دائما يعبرون عن موقفهم من الحياة وفهمهم للانسان ، وهم من خلال عملهم الفنى يفتحون لنا النوافذ التى تطل منها على جوانب شتى من الحقيقة ونحن حين نتأمل القصيدة – حتى عندما يكون هدفنا هو مجرد التذوق لا التقدير والحكم – فاننا نتأمل فيها الخبرة الانسانية ، والرعشة التى تسرى فى أوصـالنا عندئذ ليست نتيجة الاطار الجمالى الصرف . ومن ثم فاننا لا يمكن أن نستريح لقول المؤلف : « مهما كانت طبيعة الشىء الذى تتضمنه أو لا تتضمنه هذه التجربة فان غاية الشعر الحقيقيةالخاصة به هى التجربة لذاتها لا من أجل ما تتضمنه » . (ص ١٨٤) فالفصل بين التجربة وما تتضمـــنه فصـــل متعسف لا يمكننا أن نتصـــوره او نمارســه ممارسة عملية .

***

وبعد فقد آن الأوان لأن نقف – كما وعدنا – عند الترجمة ؛ فقد ساعد اضطراب الترجمة فى بعض الأحيان على اضطراب الكتاب . وفيما يلى بعض الأمثلة :

١ – (ص ٦) : لذلك اخذت ادرس المبادئ الأوليــة للنقد ، **ولا سيما على ضــوء** النظريات الحديثة . والصواب ... بخاصة فى ضوء .

٢ – (ص ٢٩) : الا ان هـــذه الكلمة **الأوســع « دافـع » والتى** ســـتقابلنا ... والصواب : الا ان كلمة « دافع » هذه الأوسع نطاقا من غيرها ، والتى ..

٣ – (ص ١٥٥) : يبدو لنـــا أن الدكتور رتشاردز متسرع فى حكمه **على** خطل برادلى . وجود (على) فى هذا النص يؤكد وجود الخطل قبل الحكم ، فى حين أن المؤلف يشايع برادلى ويود الدفاع عنه ونفى ما رماه رتشاردز به من خطل . ولهذا فالصواب هو : ... متسرع فى حكمه بخطل ...

٤ – (ص ٨) : وهو كتاب له اهميـــة **غير عادية** ... والصواب : أهمية فائقة .

٥ – الكلمة «...» ، والصواب بوصفه . انظر ص ٢٢ – ٣١ .

٦ – استخدام كلمة (يعتبر) ترجمة الكلمة Consider ، والصواب يعد .

٧ – (ص ٢٤) : وكما يحـــذرنا الدكتور رتشاردز قد نتهاون ونفسر .. والصـــواب – تحاشيا لهذا الاضطراب – **هو** : وقد نتهاون – وهـــذا ما يحذرنا منـــه الدكتور رتشاردز ونفسر ..

٨ – (ص ٢٨) : كان **ولن** يزال ، والصواب : ولا يزال ..

٩ – (ص ٣٣) : فهــل الســيكلوجيا او بالأحرى **أن** تقول هل الفسيولوجيا .. فالصواب أن نقول : فهل الســيكلوجيا ، أو بالأحرى هل الفسيولوجيا ... أو ان نقول : فهل السيكلوجيا ، او الأحرى ان نقول هل ..

١٠ – (ص ٣٥) : ... بل **ولا** ... ، الواو زائدة .

١١ ـ (ص ٦٧) : ترجمة كلمة ode بكلمة نشـــيد . وال ode قصيدة غنائية تزاوج بين العاطفــة والفكر ، والأحرى أن تترجم هنا بكلمة انشودة . انظر ايضا ص ١٥٨ .

١٢ ـ (ص ٧١) : الشيء الهام ، والصواب : المهم . انظر ايضا ص ١٢٧ ـ ١٣٤ ـ ١٣٩ .

١٣ ـ (ص ٨٦) : يعطونه للغير ، والصواب : لغيرهم .

١٤ ـ استخدام (طالما) فى غير معناها ؛ فهى تعنى (كثير ما) ، والصـواب : مـا دام . ص ٩٢ ـ ١١٤ ـ ١٨٨ .

١٥ ـ (١٠٧) : نجـــد أن هاتين الصفتين تفسران الى حد ما لماذا كان التامل ميسورا عند الشرقيين . والصـواب : ... تفسران السبب فى ان التامل ميسور ..

١٦ ـ (ص ١١٨) : ولذلك فربما من جهة الأولوية الزمنية ليست التجربة الجمالية ... والصـواب : ولذلك فربمـا لا تـكون التجـربة الجمالية ـ من جهة الأولوية الزمنية ـ ...

١٧ ـ (ص ١٣٦) استخدام كلمة (العديد) والمقصود هو (الكثير) ؛ فالعديد لا يعطى معنى الكثرة .

١٨ ـ (ص ١٥٤) : المـــلاح الغـــابر The Ancient Mariner وفى ص ١٦٠ المـــلاح العتيق .

١٩ ـ (ص ١٨٤ ـ ٥) : ولـكن لتتخيـل مقدار الحقائق المتناقضة التى كان سيجب علينا أن نجابهها لو ... والصواب : ... التى كان من المحتم علينا مواجهتها لو ...

٢٠ ـ (ص ١٨٧) : ولما كانت هذه الحاجات البشرية ملحـة ومقيـدة لذلك لن نسـتطيع أن نمـدها بسهولة ... فضياع الترقيم فى هـــذه العبـــارة يشتت المعنى ؛ فنحن فى حاجة الى أن نضيف (فاء) اما الى (لذلك) أو الى (لن) ، ويتبع هذا أن نضع فاصلة قبل لذلك أو بعدها .

٢١ ـ (ص ١٩١) : آه يا وردنورث اننـــا لا نستقبل الا ما نعطيه .

وفى حياتنا وحدها تحيا الطبيعة .

ان ثيـاب عرسها هى ثيـاب عرسنا ، واكفانها هى اكفاننا .

واعتقد أن الترجمة تكون ادق لو اننا قلنا :

آه يا وليام ! اننا لا نستقبل الا ما نعطى .

وفى حياتنا وحدها تحيا الطبيعة .

وحلة العرس التى ترتديها هى من صنعنا ، ومن صنعنا كفنها .

وفى هذا توضيح للمعنى الذى يقصده الشـاعر ، وهو أننا نحن الذين نضفى على الطبيعة المعنى .

وبعد فقد سعدت برحلتى مع هذا الكتاب وان لم أتمتع به .

الدكتور عز الدين إسماعيل

• • •

دون جوان

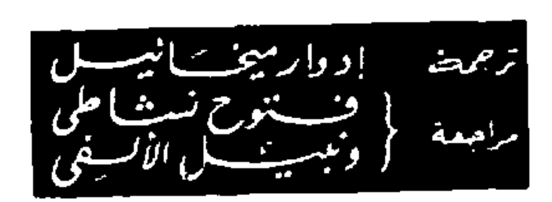
تأليف : موليير

ليس من شك فى أن « الادارة العامة للثقافة » حين فكرت فى اصدار سلسلة « روائع المسرح العالمى » كانت تهدف الى خدمة القراء وكتاب المسرح ورجاله على السواء ، أى ان هذا الهدف ذو طابعين ثقافيين : هما الطابع الأدبى ، والطابع المسرحى . فكتب هذه السلسلة لا ترمى فحسب الى امتاع القارىء ، وانما أيضا الى اطلاعه على نماذج من المسرحيات العالمية من شأنها أن تحضه على عقد المقارنة بين روائع المسرح الغربى وبين ما يقدمه اليه المسرح المحلى ؛ الأمر الذى يخلق أو يصقل لديه ملكة النقد ، ويضاعف طموح آماله من أجل نهضتنا المسرحية المعاصرة .. ثم ان هذه النماذج — من ناحية اخرى — تبصر كتابنا المسرحيين « بالكيف » الذى ينبغى عليهم أن يحاولوا تحقيقه .. وبديهى أن تنمية ذوق القارىء ، وصقل استعداد الموهوبين فعلا من كتابنا المسرحيين يؤديان حتما الى الارتقاء بالمادة التى تقدم الى مسارحنا ..

فمن المؤكد — مثلا — ان معظم مسرحياتنا الكوميدية الحالية لا تنتمى الى الكوميديا الحقيقية بقدر ما هى مسرحيات هزلية او "Farce" كما يقول الفرنسيون . واذا كنا لا نفتقر الى الممثل الناجح فاننا لا نزال فقراء الكتاب المسرح الذين يمكن أن نقول عنهم انهم لا يستخفون بعقول الناس برداءة المادة التى يدفعون بها من اجله الى المسرح .. سلسلة « روائع المسرح العالمى » اذن تسهم اسهاما فعالا فى نهضتنا الأدبية والمسرحية .

وطبيعى أن تأخذ سبع أو ثمان من مسرحيات موليير امكنتها فى « بهو » هذه السلسلة الطويل .. صحيح أن مسرحية « دون جوان » ليست من أروع ما كتب موليير (وانا اقارن هنا موليير صاحب « المتزمت » أو « البخيل » أو « النساء العالمات » .. بموليير كاتب مسرحية « دون جوان » ، فهذه الأخيرة جيدة فى ذاتها من غير شك) ولكنها هامة على كل حال بسبب الظروف التى كتبت فيها ؛ تلك الظروف التى يتطرق الحديث عنها بالضرورة الى كفاح موليير فى سبيل فرض فنه الأصيل رغما عن مناهضة طبقتى الاستقراطية ورجال الدين . انها من حيث الصدى الذى أحدثته امتداد لمسرحية « طرطوف » (Tartuffe) .

لم تكد مسرحية « طرطوف » تمثل أمام لويس الرابع عشر فى قصر فرساى (١٢ مايو ١٦٦٤) حتى اثارت حفيظة رجال الدين ، كما اغضبت الملكة الأم آن النمساوية Anne d'Autriche ، التى استغلت حاشيتها ضد موليير . وبالرغم من أن الملك كان راضيا عن هذه المسرحية فقد نصح الكاتب « بعدم اغضاب المتدينين » اثر تدخل كبير أساقفة باريس . وحظر تمثيل المسرحية أمام الجمهور ، وتعرض



الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٤٩ ص ، قطع صغير .

موليير لهجوم احمق ، فوصفه احد رجال الدين بانه « شيطان مجسد يرتدى زى انسان » ، ونادى بحرقه حيا « كجزاء دنيوى ريثما يذوق عذاب جهنم » .. وظلت « طرطوف » تعيش فى الخفاء : تمثل فى قصر شقيق الملك أو فى غيره من قصور بعض اعضاء الأسرة المالكة .. ثم مثلت أمام الجمهور باسم جديد « المنافق » (٥ اغسطس ١٦٦٧) باذن شفوى منحه الملك قبل سفره لحرب الفلاندر ، ولكنها حظرت من جديد فى اليوم التالى بأمر من رئيس البرلمان لاموانيون (Lamoignon) الذى قال لموليير حين ظفر بمقابلته بفضل صديقهما المشترك بوالبو (Boileau) انه يرى أن المسرحية رائعة ، ولكن لا يليق بالممثلين أن يلقنوا الناس مبادىء الدين وليس من حق المسرح أن ينشر الانجيل ! ولذلك فليس فى وسعه ان يأذن باعادة تمثيلها فى غيبة الملك .. وجن جنون موليير وأبى أن يرضخ للأمر الواقع ، فبعث الى الملك — الذى كان فى معركة الفلاندر — برسولين يحملان اليه التماسا جديدا (كان الأول فى اغسطس ١٦٦٤) ، الا ان قلق لويس الرابع عشر بسبب عنف حملة الهجوم على موليير حدا به الى ارجاء حسم المشكلة حتى يرجع الى باريس .. ثم فجأة (سبتمبر ١٦٦٨) قرر الملك رفع الحظر عن « طرطوف » فكان استئناف تمثيلها (٥ فبراير ١٦٦٩) نصرا حقيقيا لموليير والمسرح على السواء . وهكذا استمر كفاح موليير قرابة خمسة اعوام من أجل مسرحية كل ذنبها انها تصدت لنفاق من يتظاهرون بالتدين : يقول بوردالو (Bourdaloue) فى خطبة دينية له عن « النفاق » : « ان التدين الحق والتدين الزائف يتشابهان من حيث الشكل الخارجى ، ولذا فان التنديد بهذا يسىء حتما الى ذاك » .

والصلة وثيقة بين محنة « طرطوف » وكتابه « دون چوان » ، بل ان بينهما قرابة معنوية . لقد كادت تلك المحنة أن تقضى على كيان فرقة موليير (كانت تسمى « فرقة شقيق الملك » فى ذلك الوقت) فقد كانت اضطرت خلال سنة كاملة الى تمثيل مسرحيتين اثنتين احداهما تراجيديا لراسين . وكان لابد من تقديم شىء جديد الى الجمهور .. صحيح كان موليير قد شرع فى كتابة « المتزمت » (Le misanthrope) ولكن بخطى وئيدة لأنها كانت أقيم من أن يرتجل تتمتها . هنا الح عليه اعضاء فرقته فى الاسراع بكتابة اسطورة دون چوان بطريقته الخاصة حتى تستطيع هذه الفرقة أن ترسخ فى منافستها لفرقة الايطاليين ، وهم الذين أحرزوا نجاحا فائقا بتمثيلها . على ان هناك اسبابا قوية اخرى دفعت موليير الى كتابة « دون چوان » ، وأول هذه الأسباب ما شعر به من مرارة عاصفة أثر حظر تمثيل « طرطوف » . يقال انه فكر حينذاك فى العدول عن الكتابة والتمثيل ، ويقال انه اسدى — حينذاك أيضا — الى شاب يطمح الى مزاولة مهنة المسرح نصيحته المعروفة التى تهدف الى انتزاع مشروعه من ذهنه : « ربما تظن أن لهذه المهنة مفاتنها ؛ انك مخطىء .. حقا اننا نبدو مقربين من الأشراف ، ولكنهم يخضعوننا لملذاتهم .. أما بقية الناس فتنظر الينا نظرتها الى أشخاص ضائعين يثيرون

احتقارها ... » وتفاقمت حال موليير الى حد اليــأس ثم استحالت الى ثورة عارمة اراد ان ينفس عنها بثار مزدوج : الانتقــام من رجال الدين بمسرحية ظـاهرها التـكفير عن « اثم » قديم ، باطنها هجاء جديد مقنع ... والانتقــام من الارستقراطيين المتعطلين الذين يأتون جميع الموبقات ، ولا يتورعون عن اغواء زوجات الطبقة البرجوازية وفتياتها ، أمثال كونت دى جيش (de Guiche) ، الذى كان لا يكف عن مغازلة زوجته ! .

وموضوع « دون جـوان » بسيط لا تعقيد فيه ؛ وهو يدور حـول افعال وآراء شاب من الاشراف فاسـق ، فظ ، ينـكر جميع القيم الانسانية ويجـد لذة فى الهرطقـة ... ثم يجد جزاءه المحتوم : حدث ذات يوم ان كان فى غابة بصـحبة خادمه سجاناريل (Sganarelle) وتقدم من قبر الحـاكم الذى كان قد قتله منذ ستة اشهر ، فانفتح القبر ، وظهر تمثال الحاكم ؛ واذا دون جوان يدعوه – بدافع من التحـدى – الى تناول العشاء معـه .. ويحضر التمثال الوليمة ، ثم يدعو الفاسق بدوره ... ويحضر دون جـوان حيث كان ينتظره غضب السماء الحانق على جرائمه : الصـاعقة تنزل بعنف مدو ، والبرق يتتابع بشكل رهيب ، والأرض تنشق لتبتلعه وهو يلتهب بالسنة النيران .

وهذا الموضـوع مستمد من اسطورة قديمة يرجع اصلها الى مسرحية اسبانية مثلت حوالى عـام ١٦٢٠ اسـمها ، خادع اشـبيليه ، (Trompeur de seville) لتيرسو دى مولينـا (Tirso de Molina) واسمه الحقيقى Gabriel (Tallez) .. وقـد دخلت هـذه الأسطورة ايطاليا بفضل جيلبرت (Gilberto) وسيكونيينى (Cicognini) .. ثم مثلتهـا فى باريس بنجـاح كبير فرقة لوكاتيللى (Locatelli) وفى عام ١٦٥٨ نشر الممثل الفرنسى Dorimond فى ليون اقتباسا من مسرحية جيلبرتو .. وفى العام التالى مثل Villiers فى مسرح بورجنى (Bourigogne) اقتباسا جديدا (نشره فى عام ١٦٦٠) .. ويبـدو ان موليير قد اطلع على سـيناريو لوكاتيللى ، ومسرحية سيكونيينى ، والمسرحيتين الفرنسيتين المقتبستين (عنوانهما واحد هو « وليمـة التمثال أو الابن المجرم » (Le Festin de pierre ou le fils criminel) (1)

اتم موليير كتـابة مسرحيته دون جوان فى فى أوائل فبراير ١٦٦٥ ، واستطاع أن يقدمها للجمهور فى ١٥ فبراير بمسرح الباليـه رويال (Palais - Royal) وبلغ بنجاحها انها كانت تغل ايرادا يوميا يبلغ قرابة الفين من الجنيهات ؛ بل ان هذا الايراد وصل الى ٢٣٩٠ جنيهـا فى اليوم العاشر من بدء تمثيلها . الا انهـا حركت ضغائن أعدائه الذين وفقوا – بالرغم من عطف الملك – فى انتزاع اذن بحظر تمثيلهـا بعد أن قدمت خمس عشرة مرة (٢٠ مارس ١٦٦٥) .

اتهم محام بالبرلمان موليير بالالحاد فى كتيب احرز نجـاحا كبـيرا اذ طبـع خمس مرات (اسـمه : ملاحظـات على كوميديـا موليير المسـماة وليمـة التمثـال) ، وزعم ان المسرح بسببه متمرد على الكنيسة ، وان موليير يستحق الاعـدام (يقـال ان باربييه دوكور Barbier d' Aucour هو صاحب ذلك الاسم المستعار (Rochemout) .. وارتفعت من الكنائس صـيحات رجال الدين الذين نددوا بمسرحية موليير بوصفها مظهرا جديدا لكفره . وظنت الطبقة الارستقراطية الفاسقة المستغلة الى أنها هى الأخرى مقصودة بالهجاء ... ودلل جميع أعداء موليير على سوء نية موليير باختياره سجاناريل (Sganarelle) مدافعا عن الدين : لأن خادم دون جوان هـذا تافه العقليـة ، ضعيف الحجـة ، جبان ؛ يقول امير كونتى : « ان موليير قد عهد بقضية الله الى خادم يطلق لسانه بشتى السفاهات » والغريب أن موليير لم يبذل هذه المرة اى جهد من اجل استئناف

(١) انظر الدراسة القيمـة التى قدم بها لترجمة المسرحية الفنان الموهوب نبيل الألفى .

تمثيل مسرحيته ؛ لعل شعوره بانه اشبع رغبته فى الانتقام كان كافيا لاراحة أعصابه ! .

ولقــد شجع موليير على نشر مسرحيته ما حققته فى البداية من نجاح ، فحصل على اذن بطبعهــا قبل منع تمثيلها بعشرة ايام ؛ الا أن قرار الحظر لم يكن من شانه ان يطمئن الناشر ، فظلت محفوظه الى ان تكفــل فينو (Vinot) ولاجرانج (La Grange) ـ بعد وفاة موليير ـ بطبعها فى عام ١٦٨٢ بعــد ان حذفا منها أجزاء كثيرة ... ولم تنشر غير منقحة الا فى عام ١٨١٩ (نشرها اوجيـــه Auger) ، وان كــانت قد ظهرت فى طبعات مزيفة بباجيكا (١٦٨٢) وهولندة (١٦٨٣ ، ١٦٩٤) .

ومسرحية دون جوان عمل فجائى مرتجل ، تعجل موليير فى كتابتها ، وفى ظروف قاسية : ظروف حياته الزوجية ، وظروف فرقته على السواء . صحيح انه ينقصها التماسك فى بعض اجزائها ، ولـكنها تضم أجــزاء رائعة على كل حال . انها دراسة سيكولوجية عميقة ؛ حتى الشخصيات الثــانوية (مثلا شارلوت وبيرو) لها من الملامح ما يدل على عمق موليير فى تحليل العواطف والانفعالات الانسانية .

وهو لا يتقيــد فيها بالقواعد الـكلاسيكية : فيها دراسة شــــخصيات ، وفيهـا مزيج من الكوميديا الجاده والتراجيديا ، فضلا عن انها لا تخلو من العبـــارات الهزلية .. ولم يحدد الـكاتب زمن الحــوادث التى تدور فيهـــا لينبينا انه لا يلتزم بوحدة الزمان (٢٤ ساعة) كما أنه لا يطبق قاعدة وحدة المكان ؛ نعم ان حوادثها تدور كلها فى صقلية ، ولكن فى أماكن مختلفة .. اما وحدة الحركة فهى غير واضحة المعــالم . والهــدف من هذه المسرحية لا هو امتداح الدين ، ولا هو الثناء على الألحاد ، وانما هو ـ كما قلنا ـ الثار لمسرحية « طرطوف » التى قاست طويلا من عنت المناهضين ؛ من هنا نجد فيها أن موليير ـ على حد قول احـــد النقاد ـ قد غمس قلمه فى مداد ملتهب ، وان بعض عباراته تصطبغ على الورق بلون أحمر ! . اسمع بعض ما يقوله عن النفاق على لسان دون جوان : « ان النفــاق رذيلة شائعة ، وجميع الرذائل الشائعة تعتبر فضائل ... لقد صار النفاق اليوم مزايا عجيبة ... انه رذيلة ممتازة تكمم بيدها افواه الناس جميعا وتامن من العقاب فى طمانينة .. » .

لعل القارىء قد ادرك الآن ان مسرحية كهذه من مسرحيات موليير حقيقة فعلا بان تنقل الى اللغة العربية ؛ ومن أجدر بالترجمة من موليير ! قيام الاستاذ ادوار ميخائيل بهذه المهمه يستحق اذن الثناء . على انه كان بودى ان أختتم مقالى بهذه الكلمات ؛ الا اننا فى نهضة أدبية ومسرحية كبرى كما قلت فى مســتهل هذا البحث الموجز ، وليس أخطر على النهضـــات من النفـــاق ، أو المجاملة وهى بدورها ضرب من النفاق ايضا . ان النقد البناء احدى دعامات الانتاج المثمر ، بدل فى غير تضليل ، ويوجه فى غير هوى ، ويسعى الى التقريب من الـكمال ... ليسمح لى اذن الأستاذ ادوار ميخائيل ان اقول له انه لم يتأن فى ترجمته ، وان اقول للقراء ان هذه الترجمة ليست فى المستوى اللائق بموليير . انها تزخر بالاخطاء ، وتتميز فى كثير من عباراتها بالركاكة . نعم ان صاحب مسرحية دون جوان لم يكتب دائما بأسلوب رصين لأنه كان يعير كل شخصية من شخصياته الأسلوب الذى يلائم ثقافتهـــا ومستواها الاجتماعى ؛ ولـكنى اشــك فى ان يكون المترجم . قد اقتدى به فى هذا المجال .. وهو لن يزعم انه توخى فى ترجمتــه أن تجىء صالحة للتمثيل فى مســـارحنا ! لأن مؤسسة التاليف والترجمة شىء ، والمسرح شىء آخر . المؤســـسة تحرص على الترجمة الأمينـــة التى تحافظ على ســلامة النص ؛ والمسرح من حقه ـ او على الأقل يستطيع ـ ان يدخل على هذا النص ما تفرضه بيئتنا من تعديلات .. بل حتى هذا اشك فى مشروعيته ! .

المهم هو اننى ســأقصر تعليقى على منظر واحد من كلّ من فصول المسرحية الخمسة :

اولا : (المنظر الأول من الفصل الأول) : ان تعبير « et l'on apprend avec lui à devenir honnête homme » ليس معناه « ... ويعلمهم الكرم » ! لقد كتبت مسرحية دون چوان فى زمن (القرن السابع عشر) كانت فيه لكلمتى honnête homme مدلولات كثيرة ، منها « انسان فاضل » او « انسان مجامل » ، ولكن لم يكن من بينها معنى الكرم على كل حال ... وحين يقول « سجاناريل » « لجسمان » فى حديثه : « mon ami » ليس من حق المترجم أن يتدخل فى شئونه الخاصة فيحرف قوله لأن الصداقة العادية لا تكفيه ، وانما هو يريد منه ان يقول : « يا صديقى العزيز » ... وعبارة « protestations ardentes » ، التى يترجمها الأستاذ ادوار : « مظاهرات الحب الملتهبة » ؛ . الا تذكر كلمة « مظاهرات » فيها بالتصفيق والهتاف والصياح ؟! .. ويقول المترجم : « ... ولا استطيع أن افهم كيف انه بعد كل هذا الحب ، وبعد كل هذا التهافت ... وكل ما ابداه نحوها من الدفاع » ؛ ما معنى هذا ؟ واين وجد كلمة « دفاع » فى النص الفرنسى ؟ .. ونقرأ فى النص الفرنسى هذا الحكم الذى يصدره سجاناريل على سيده دون چوان :

« . . Don Juan mon Maître, le plus grand scélerat que la terre ait jamais porté, un enragé, un chien, au diable, un turc, un hérétique .. etc»

ويبدو أن المترجم قد اغفل ترجمة لفظ turc بدافع من الذوق والمجاملة ، الا انه قد فاته أن لفظ « تركى » هنا مستعمل فى المعنى المجازى ، اى انه يعبر عن القسوة او الفظاظة ..

ثم هل تبيح اللغة العربية أن يقال « يخلف فى وعده » ؟ او « اننى رحلت من قبله » ؟ .. او « لقد اعترفت لك بهذا الاعتراف » .. وهل يمكن أن نقرأ هذه العبارة : « لم يستطع كما تقول الا ان يجبرها ، على ان تأتى الى هنا جريا وراءه » .. دون أن نتصور الفير وقد سمعت وراء دون چوان **عدوا** ؟ .. وهل يسمح النحو العربى بأن يقال : « ولكن دعنى **اقل** لك هذا » ؟ .. وحين يقول سجاناريل ما معناه « ولو قلت لك اسماء من تزوجهن فى جهات متفرقة ... » هل نستطيع ان نفهم فى غير التباس ما يعنى اذا قرأنا قوله فى هذه الترجمة « ولو قلت لك أسماء من تزوجهن فى **مختلف النواحى** » ؟ ثم تعابير كهذه ، ايليق ان ترد فى ترجمة لاحدى المسرحيات العالمية : « ان عواطفه قد تبدلت **من جهة** دونا الفيرا » .. « وهو لا يستخدم الا هذه الطريقة **لصيد** النساء » .. « **علما بأن** هذا كله ما هو الا صورة سريعة لشخصيته » ..

ثانيا : (المنظر الثالث من الفصل الثانى) : يصفع دون چوان الفلاح بيرو أربع مرات ، ولكن الأستاذ ادوار ميخائيل يشفق على الخادم المسكين أو يشفق علينا نحن من تصور تلك القسوة فيجعل عدد الصفعات اثنتين لا اربع ! ويقول بيرو لخطيبته شارلوت : « J'aime mieux te voir crevée que de te voir à un autre » ومعنى هذا من سياق الحديث انه يفضل ان تهلك (ان تموت) عن أن يراها زوجة لشخص آخر ... الا ان مترجم المسرحية يشوه هذا المعنى ، ويذهب فى تصوره الى ابعد مما يتصوره بيرو .. انه يحدد بالدقة طريقة الموت التى يجب أن يفضلها بيرو لخطيبته ان هى استجابت لاغواء غيره ! ؛ يقول : « ... افضل ان اراك مشنوقة على ان اراك مع غيرى » ! ... ويقول بيرو لدون چوان الذى يريد ان يعتدى عليه

بالضرب : «انا لايهمنى شيء» ، فيرد عليه قائلا : " Voyons cela " ومعنى هذه العبـــارة « لنرى ذلك » ، الا ان الأستاذ ادوار ميخائيل يترجمها « جرب ذلك » ! فماذا عسى بيرو ان يجربه ؟ ان دون جوان لم يدركه بعـــد ، وهو ــ كما يقول النص الفرنسى ــ يجـرى وراءه للحاق به ! .

ثالثا : (المنظر الثانى من الفصل الثالث) : يقول الشحاذ لدون جوان وخادمه وهو يحذرهما من اللصوص المنتشرين فى الغابة التى سـيعبران بها وهما فى طريقهما الى المدينة :

"...depuis quelques temps, il y a des voleurs ici autour" ، اى منـــذ فترة واللصـــوص منتشرون حـــول هـــذا المكان ... ما طـول هـــذه الفترة ؟ لا ندرى ... ولـكن مترجـم المسرحية يتطوع بتحديدها فيقول : « ... لانه يوجد بعض اللصوص قد انتشروا هنـــا وهناك **منذ عشرة ايام** » ! هذا التحديد ليس من حق من يحرص على الأمانة فى الترجمـة ... وبعد ان يتلقى الشحاذ شكر دون جوان على ما اسدى اليه من نصيحة ، يلتمس منـــه الاحســـان "Si vous vouliez, Monsieur, me Secourir de quelque aumône"

ومعنى هذه العبارة ببساطة «هل لك ياسيدى ان تعيننى بصـــدقة » .. ولكن الأستاذ ادوار يترجمها هكذا : «ان اردت يا سيدى ان تساعدنى ببعض الاحســــان ؟ » !! .. ويترجم تعبير "prier Dieu" الذى يـرد عـــدة مـــرات فى النص بـ « يصلى لتمنح السماء ... » وكنت افضل أن تكون الترجمة « ادعو السماء أو ادعو الله » ... ثم هل يستطيع ان يكتب العبـــارة التالية اكثر من مرة دون أن يسيء الى اللغـــة العربية : « اعطيه لك » ! .. وينتهى الحديث بين الشحاذ ودون جوان الذى يلمح فى الغابة مشاجرة غير متكافئة بين رجل وثلاثة آخرين ، ويختتم موليير هذا المنظر بهذه العبارة الانتقالية التى يضعها بين قوسين : "Il court au lieu du combat" ومعنـــاها « ويسرع الى مكان المشاجرة » .. ولكن المترجم يملأ قوسـيه بكلمة واحدة لا تمهـــد القارىء للمنظر التالى هى : (ويخرج) ! .

رابعـا : (المنظر الأول من الفصل الرابع) : يقول دون جوان فى هذا المنظر القصير :

" ... et nous pouvons avoir été trompés par un faux jour, ou surpris de quelque vapeur que nous ait troublé la vue" وينقل الأســـتاذ ادوار هـــذا القول بالعبارة التالية : « ... ولعلنا خدعنـــا فى نهار ملبد بالغيوم ، او لعلنا فوجئنا بشيء من الاضطراب صـــعد الى رؤوسنا فاختلط بالوهم نظرنا » ! ايصعد الاضطراب الى الرؤوس ؟! ايختلط النظر بالوهم ؟! .

خامسا : (المنظر الثالث من الفصل الخامس : يستعمل المترجم فى هذا المنظر كلمة « اعتزال » ترجمـة لـكلمة "retraite" اكثر من مرة ، واظن أنه أراد ان يقول « انعزال » لا سيما انه لا يذكر لنـــا ما تعتزله الفتاة ، ذلك لأن الأمر يتعلق بدخول فتاة احد الأديرة ... ويحاول دون جوان أن يتملص من وعـــده بالزواج من الغير ، ويقول لأخيها :

" ... et qu'avec elle assurément je ne ferais point mon salut" ، ولكن الأستاذ ادوار يترجم هذه العبارة ترجمة غامضة ركيكة معا فيقول : « ... واننى لن احصل على خلاص نفسى طالما كنت معها » ! ويرد دون كارلوس بقوله :

"Croyez-vous, D. Juan nous éblouir ces belles excuses"

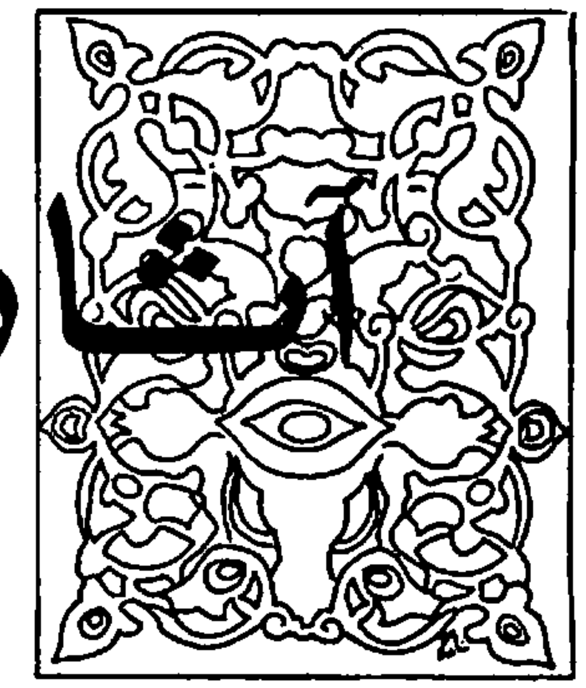
اى«وهل تظن يادون چوان انك تبهرنا(أو تقنعنا) بهذه الذرائع الخلابة ؟ » ولكن الأستاذ ادوار أعطانا هـذه الترجمة التى جعلتنى انتفض : « وهـل تظن اننى ساكتفى بمثل هذه الخطب والمواعظ ؟ » .. ويصر دون چوان على موقفه فيقول له دون كارلوس :

"Vous aurez fait sortir ma sœur d'un couvent pour la laisser ensuite" أى : « انك تكون قـد اخرجت اختى من دير لتهجـرها (لتتخلى عنها) بعد ذلك » .. ولكن المترجم يتصرف على النحو التـالى : « ماذا ... وهل تظن انك بعـد أن اخرجت اختى من الدير ، تستطيع ان تهجرها بعـد ذلك ؟ » ! المعنى محرف تحريفا بينا ، وتكرار كلمة « بعـد » يسبب ركاكة العبارة ... وركيك ايضا هـذا التعبير « ماذا ؟ السماء دائما » الذى يقابل فى النص الفرنسى "Et 'quoi, toujours le ciel" (الذى يعنى ببسـاطة : « انك لا تكف عن ذكر السماء ») ... وركيكة كذلك هـذه الجملة « ولكن اعلم انه ليس أنا الذى يريد المبارزة » .. اما هذه العبارة « اطلب الترضية من السماء » التى تريد أن تترجم لنا قول دون چوان لدون كارلوس: "Prenez-vous en au Ciel" فهى تخفق كل الاخفاق فيما ارادت ، لان العبارة الفرنسية تعنى : « عليك ان تحمل السماء هذه المسئولية ؛ او « عليك ان تلقى التبعة على السماء » ..

لقد أطلت ؛ ومع ذلك فلم اتنـاول بالتعليق على الترجمة سوى خمسة مناظر من السبعة والعشرين التى تحتوى عليها المسرحية . ان الترجمة الأمينة التى لا تتقيد « بالحرفيـة » الا بالقدر الذى يقتضيه احترام فكرة المؤلف لهى نوع من الخلق الفنى . وهذا الضرب من ضروب الترجمة هو الذى نحتاج اليه فى محاولاتنا والاستفادة من التراث الغربى . ومن المفروض أن يثق القـارىء فيمن يترجم له ، وليس من المفروض أن يعكف كل قارىء على مقارنة كل نص عربى بالنص الأجنبى المترجم ؛ ولو ان هذا يسير عليه لكان أيسر منـه أن يرد المصـادر الاصلية دون حاجة الى وساطة المترجم . ان الترجمة الحقيقية فن كما قلت ؛ وليس فى وسع كل انسان أن يوفق فيها مهما اعتمد على بضعة معاجم ، ذلك لأن هنـاك شيئا اسمه « روح النص » ، ولأن اتقان لغة واحدة لا يكفى للقيام بترجمة قوية امينة لا تهزأ بعقول القراء . كيف يكون الحال اذن اذا كان المترجم لا يجيـد لغـة واحـدة ؟ انه يشوه افـكار المؤلف وباسلوب ركيك ... ولست اقصد بهذا الكلام ان اغمز مترجم مسرحية « دون چوان » لموليير .. فانا وان كنت لا اعرفه الا اننى المس قـدرته على الترجمة الجيـدة ان هـو أبطأ فى انتاجه أولا ، وحرص على تنقيح أسلوبه بعد ذلك ..

الدكتور علي درويش





آثار باحثة البَادِيَة

جمع وتبويب : مجد الدين حفني ناصف

تقـديم : الدكتورة سهير القلماوي

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ٣٦٤ ص قطع كبير ث ٣٥ر٥ قرشا

كان جميلا من المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومى أن تخصص هذا الكتاب فى سلسلة « تراثنا » للمجموعة الكاملة لأعمال اديبة مصرية مرموقة من اوائل اديباتنا الرائدات فى العقدين الأولين من هذا القرن العشرين ، وهى الاديبة العريقة فى نسبها الى الأدب ، السيدة ملك بنت الأديب الشاعر حفنى ناصف ، خدين شاعر النيل حافظ ابراهيم واحد القلة الذين تركوا اثرا واضحا فى نهضة الأدب العربى منذ أواخر القرن التاسع عشر .

وكان توفيقا محمودا أن يضطلع بجمع آثار هذه الأديبة المرموقة اديب آخر هو الشقيق الأصغر للسيدة ملك ، بل لعله كان يحتل لديها منزلة الابن لقيامها على رعايته منذ طفولته الباكرة بعد وفاة امهما .

ويزيد من قيمة هذا التوفيق أن تتولى اديبة عالمة من معالم نهضتنا النسائية المعاصرة فى الأدب وفى الجامعة هى الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى بانشاء تلك الدراسة الجيدة التى تصدرت هذه الآثار المجموعة لباحثة البادية . فقيام الدكتورة سهير بالذات بهذا العمل بمثابة تنويه لطيف لبق بان الأرض التى وقفت باحثة البادية نفسها على حرثها وسقيها — وهى أرض تحرير المراة عقليا واجتماعيا وثقافيا على وجه الخصوص — قد زكا نبتها وآتى ثمراته الطيبة بعد وقت قصير فغدا بهجة للعين وغذاء طيبا للعقول والأذواق .

وكانت الدكتورة سهير على العهد بها فى تحرى الدقة والأمانة فى وزن الأعمال الأدبية وما يترتب عليها من آثار بميزان العلم الذى لا يفتات على خصم ولا يحابى صديقا . فلا يشعر القارىء بشىء من التعصب العاطفى من سيدة لسيدة اخرى فى مضمار الانتصار للمراة . فلو صدر ما كتبته الدكتورة سهير من قلم رجل منصف لما وسعه أن ينقص مما كتبته شيئا ، بل لعله كان حريا أن يزيد عليه اشياء فى معرض التنويه والاعجاب . بيد أن الكاتبة العالمة آثرت فيما نعتقد الأخذ بالأحوط فاسرفت فى الحياء

ارضاء للحقيقة التى لا يعرف البحث العلمى له مطلبا سواها .

« ان جهاد الأول ليس خطوات نستفيد منها فى اننا نستطيع أن نسير الى ما بعدها فحسب ، ولكنها خطوات تعين بخط سيرها الذى سارت فيه منهاج المستقبل وخطة الغد ... والحديث عن ملك حفنى ناصف فى حد ذاته ليس متعة فحسب ، ولكنه فائدة عظمى ودرس لا يمكن الا ان يكون موحيا فى كل ظرف وزمان » .

بهذا القصد المستقيم فى القول مهدت « باحثة الجامعة » لدراستها عن آثار « باحثة البادية » . لم ايمت ذلك بالقياس الوحيد السديد المتفق عليه بين جميع الدارسين منذ عهد بعيد :

« لا تظهر قيمة جهد المصلحين الا اذا تأملنا الحالة قبل دعوتهم ثم تأملناها بعد أن أثمرت هذه الدعوة بشكل أو بآخر . لذلك لابد لنا من ان نلقى نظرة عامة على احوال المراة فى النصف الثانى من القرن الماضى لنرى الى اى حد افلحت دعوة قاسم امين وباحثة البادية فى تغيير الحال . ولا يمكن لدعوة اصلاح — مهما يكن شانها — أن تقتصر جدواها على الزمن القريب او التغيير المباشر الذى احدثته . ان ثمرات الاصلاح — مهما صغرت — لبنات فى البناء ياخذ كل منها مكانه ويشد بعضه بعضا فى سبيل ارتفاع البنيان الشامخ : بنيان كمال الانسان وسعادته . وآثار كل دعوة اصلاح هى لبنات فى كل ما وصلت اليه المراة اليوم وكل ما ستصل اليه غدا فى سبيل أن تمكن من أن تؤدى دورها الرئيسى فى الحياة : أن تسعد نفسها وتسعد من حولها وتسعد جيلا لاحقا بكل ما يمكن ان تتقن من عمل . وتقدم من صبر ودأب وتضحية ... » .

وعلى هذا النهج الواضح السليم امسكت الدكتورة سهير بطرف الخيط فى نهضة المراة المصرية الحديثة . وكانت هذه البداية رجلا لا امراة . وهذا الرجل « شيخ » ازهرى فى فى نشأته ومثقف تقدمى فى عقليته وثقافته الأوربية . وهذا الأزهرى التقدمى هو الرائد العظيم « رفاعة رافع الطهطاوى » عضو البعثة الى فرنسا على عهد « محمد على » .

« وكان الطهطاوى أول صوت — فيما أعرف — نادى فى مصر الحديثة بوجوب تعليم البنات ورفع الحجة السخيفة الواهية التى تقول : تعلمت المراة فانها تتقن كتابة خطابات الغرام بل دافع عن وجوب تعليمها كل علم ممكن ، فلابد أن تسلح لكل احتمال » .

وهكذا « تحمس الطهطاوى بالقدر الذى يسمح به زمانه للاصلاح الاجتماعى ولتعليم المراة » . ولكن « بعد ان سارت مصر شوطا نحو التقدم جاءها سر الاستبداد والظلم المنيع ، ليحول دون تدفق الحياة الطبيعية ، واصيبت الحياة بشلل واصيبت دعوة الطهطاوى فى السياسة الديموقراطية والاصلاح الاجتماعى بشلل ايضا ، فنامت دعوة اصلاح احوال المراة طويلا » .

وتصف الدكتورة احوال المراة المصرية فى آخر القرن الماضى مستشهدة باقوال من وصفوها من الرحالة الأجانب ، فاذا هى : « تلك التى اذا سارت فى الشارع بدت وكانها خيمة متحركة! — على حد تعبيرهم — وبيتها — فى الأغلب — لا نظام فيه ولا ذوق بل ولا نظافة . لقد فقدت بحكم الجهل المسيطر على عقلها لذة الاهتمام بالبيت . الطعام أهم ما يشغل نهارها ... والبيت كله فى الأغلب والأعم مرجل يغلى بالضرائر ، وسلاح الطلاق مسلط عليه ، والأقارب والأبناء غير الأشقاء والسرارى يعيشون فى معمعة . وعلى قمة الجبل فى ميدانها رجل مفروض فيه أن ينفق وأن يحكم ، فهو ينفق حسبما يروق له ، ويحكم قدر ما يستطيع ! » .

لذلك كله « كان ظهور ملك باحثة البادية كاتبة وداعية ومصلحة من صميم البيئة المصرية حدثا هاما فى تاريخ المراة ، وبشيرا بآثار اعمق واقوى ... وهى بنت ابوين مصريين يعيشان فى بيئة مصرية صميمة » .

وكان ظهور باحثة البادية ابان دعوة قاسم امين الجريئة لتحرير المراة ، « فدعت كما دعا الى ان تحرر المراة ، وان سمت التحرر اصلاحا وسماه هو تحريرا » .

ومن هذا التصوير للبيئة والظروف تدرجت الدكتورة سهير الى تاريخ حياة « باحثة البادية » وبيئتها الأسرية والاجتماعية والعقلية الخاصة بها . فكانت أول فتاة حصلت على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية ثم على دبلوم المدرسة السنية ، وقرأت فى تلك الأثناء كتب الفحول من الشعراء الأقدمين على والدها الأديب الشاعر العلم القاضي حفني ناصف بك .



وتمضي الدكتورة فى تتبع مراحل حياة « ملك » فى العمل ، وفى الكتابة ، وفى نظم الشعر ، وفى رعاية الأسرة بعد وفاة والدتها ، وفى النشاط الاجتماعي ، وفى التدريس ... الى أن تزوجت من شيخ العرب عبد الستار الباسل بك من رؤساء القبائل العربية فى اقليم الفيوم « وهو رجل ممن نالوا قسطا من التعليم العصرى ، وزفت اليه ملك ورحلت معه الى البادية . ومنذ ذلك الحين صارت تنشر مقالاتها بتوقيع « باحثة البادية » ».

وترجع الدكتورة سهير الى شقاء ملك فى حياتها الزوجية بتلك البادية كثيرا من عناصر ادبها وملامحه النفسية الحزينة . فقد كان زوجها العصرى الوجيه « رجلا يمارس حق الرجال الذى به استبدوا فى عصره : حق ان يعيش كما يهوى والمرأة الى جانبه جزء مكمل لوجوده ، او تحفة ثمينة يفخر بأنه يحوزها .

ولم تكن ملك بعد كمال **نضوجها ونضوج** شخصيتها الفذة بقادرة على أن تكون مجرد ملحق لانسان مهما يكن » .

وهو كلام جميل فى مجموعه . ولكنى احب ان اتلبث قليلا عند كلمة وردت فى كلام السيدة الدكتورة سهير القلماوى . وهى كلمة « نضوج » هذه ... فانى احسب الصواب هو « النضج » لا « النضوج » ... أم لعل فيها قولين ... ؟ او لعله ايثار الخطأ الشائع على الصحيح المهجور .. ؟ ربما .. ! .

وكلمة اخرى جاءت بعد تلك ببضع سطور ، عند قول الدكتورة :

« وفى هذه السنوات الاحدى عشرة التى قضتها ملك باحثة للبادية استعلت فى نفسها تلك النار المقدسة التى دار بينها وبين « مى » فيما بعد الحديث عنها : تلك النار التى الهبت قلبها فجعلتها تكرس اللسان والقلم للدفاع عن قضية المرأة والمطالبة بحقوقها » .

وكلمة « تكرس » هى التى أعنيها . فأحسبها ليست من العربية الأصيلة فى شىء ، وان كانت من الخطأ الشائع على الألسنة فى الخطب ، وعلى الأقلام فى صفحات الكتب . ومبلغ علمى أن الكلمة نصرانية معربة . وأحسب المقصود هنا . تخصص .

وفيما خلا هذا « التبسط » فى مواضع قليلة من تعبيرات هذا البحث لا يجد القارىء الا كل ما فيه متاع للذهن من التمحيص ونزاهة الرأى وثاقب النظر .

اما المجموعة نفسها التى يتكون منها صلب الكتاب فيكفى فى تمجيد صاحبتها الراحلة ان معظم ما طالبت به فى جرأة تصل احيانا الى الفدائية التى تعرض صاحبتها للمعاطب والمكاره — أقول ان معظم هذه المطالب العسيرة البعيدة المنال وقتئذ حققها المد الطبيعى للمجتمع المتطور . وهذا التحقق نفسه دليل فضل لها . فلئن اخذنا اليوم دوران الارض حول الشمس مأخذ التسليم الذى لا يثير عجبا ولا تساؤلا لأنه بديهى ، فالفضل فى ذلك لجاليليو وامثاله ممن لولاهم لظل هذا الرأى البديهى خارقة نقابلها بالانكار الشديد .

وثمت شىء آخر نحب أن نسجله لباحثة البادية : ان نصاعة رأيها وقوة منطقها يطلان علينا حتى اليوم من سطورها ، ونحن ما نحن اليوم من شيوع التعليم والمنطق العقلى بيننا .

فناهيك بتلك المزايا فى ذلك العهد الذى كانت المرأة فيه قرين الدابة وصنو الطنافس والزخارف العجماء والصماء على احسن التقدير .

ولئن قيل ان الثواب على قدر المشقة ، فجدير بنا أيضا أن نقول ان النبوغ على قدر الجهالة ، والسمو على قدر الاسفاف . وادعى للاعجاب ان يكون ذلك كله فى أسلوب مشرق الاق :

« وظيفة المرأة هى اسعاد الكون وتخفيف متاعبه . وظيفتها نافعة وضرورية كوظيفة الرجل . ولكن الجهل أفسد خلقها وجعلها ترضى بأن تكون أنثى لا غير فاحتقرها الرجل لأنها هى احتقرت نفسها أولا وجهلت قدرها . وماهلك امرؤ عرف قدر نفسه ! » .

كلام محكم واضح النهج متين النسج ! .

وعلى هذا النسق كلام باحثة البادية كله ، لا يقع القارىء منها على سقطة فى التعبير او ركاكة فى المنطق أو تهافت فى الحجة . بل لعلها الى التحفظ والاحتجاز اقرب منها الى التهور والاندفاع . فهى لا تطلب حقوقا للمرأة على طريقة « المزايدة » المعهودة عند بعض ادعياء التحرر ، أو بعض « المقلدين » فى التقدم ! وهى ليست من الداعيات الى التمرد والشطط والطفرة ، بل تؤثر الاناة والاصلاح المتطور الرصين عن طريق التربية وبث الوعى والتخطيط .

وانه لنهج قويم كريم . لن تفرغ حاجتنا اليه فى حياتنا الناهضة . وكفى صاحبته فخرا اننا قطعنا الشوط الذى صبت اليه وزدنا عليه . وان من بيننا اليوم العالمة المصرية التى كتبت عنها بحثا جليلا ، وان عشرات الألوف من المصريات يقمن بالتعليم ، وان عدد الطالبات يكاد يقارب فى بعض كلياتنا عدد الطالبين .

ولست ادرى ماذا كانت حرية ان تقول باحثة البادية لو رات باديتنا وحواضرنا اليوم . هل كانت تنادى بمزيد من التحرر ، ام عساها كانت تجنح الى المطالبة بشىء من التريث والاحجام ؟ .

أكبر الظن انها كانت ترضى عن كثير . ولا ترضى أيضا عن كثير . ولكن ابتسامة الرضا عما تحب ستكون أكبر من نظرة الاشفاق مما لا تستسيغ ...

رحم الله باحثة البادية بما نبهت وبما دعت وبما دبجت ..

صوفى عبد الله



فن الخطابة

تأليف الدكتور احمد محمد الحوفي

الناشر : مطبعة الرساله
٢٧٤ ص قطع متوسط

عرفت الانسانية الخطابة فنا فى طليعة الفنون ، وهى وفن الشعر اقدم فنون الأدب على الاطلاق ، اذ هما فى جملتهما حديث عن النفس ، هى حديث عن آراء وافكار ومثل وعقائد يؤمن بها الخطيب ويدعو اليها ، وهو حديث عن عواطف وانفعالات وتجارب . وكلاهما احس الانسان بالحاجة اليه ليفضى بما يريد الاقتضاء به مما يحقق للنفس او للحياة غاية من الغايات .

وكذلك عرفت الانسانية الخطابة علما أو لونا من الوان المعرفة منذ امتهنها جماعة السفسطائيين ومنذ اخذوا فى تعليم ابناء اليونان اصول هذا الفن وقواعده التى تجعل منهم خطباء قادرين على اختلاب العقول والاستيلاء على القلوب وقيادة الجماهير الى ما يريدون قيادتها اليه .

وقد تمثلت الصورة الكاملة لتلك الاصول والقواعد فى كتاب « الخطابة » الذى الفه المعلم الأول ارسطو . والخطابة عند ارسطو متصلة بالجدل ، وكلاهما يعنى بأمور يمكن معرفتها من غير التجاء الى علم بعينه ، لأنها امور يمارسها الناس بدرجات متفاوتة ، وكل انسان يحاول ما اسعفه الجهد أن يعارض حجة من الحجج وأن يدعمها . ولكن النظر فيما يؤدى الى انجاح هذا العمل يستلزم أن تكون هناك طريقة وأن يكون هناك مجال للتوجيه .

وقد تحدث أرسطو حديثا مستفيضا فى كتابه عن الخطابة ، ودرس حاجة المجتمعات اليها ، وعرّف باقسامها وأجزائها وموضوعاتها وعبارتها فى دراسة واسعة تنهج نهجا تعليميا ونقديا فى الوقت نفسه . وظل كلام ارسطو اماما فى اصول فن الخطابة ، كما ظل كلامه فى فن الشعر اماما فى اصول الشعر ، لكل من يتحدث فى أحد هذين الفنين ، وأصبح الكتابان من تراث الانسانية الخالد حتى يومنا هذا .

وفى قديم تاريخنا الأدبى تحدث الجاحظ (٢٥٥ هـ) فى كتاب «البيان والتبيين» عن هذا الفن عند العرب ، كما تحدث عن اعلامه ومحاسنهم ومثالبهم ، وعرض لمواقفهم وتقاليدهم ، وأشاد

ببيانهم وقدرتهم على الارتجال فى دراسة مفصلة ممتعة تقرأ فيهـــا عاطفة صادقة نحو العرب ، ودفاعا مجيدا عن اصالة هذا الفن عندهم ، بعد موازنات جيـــدة بينهم وبين غيرهم وقد عرف العرب كثيرا عن خطابة اليونان والفرس والهنود وخطبائهم بعد ان احتكوا بهم ، وبعد أن قرءوا كتبهم .

وكان من الطبيعى فى نهضتنا الحديثة أن يأخذ فن الخطابة حظه من الدرس والعنـــاية بجانب الفنون الأدبيـــة الاخرى ، وكان من أثر هـــذه العناية كتابان ، هما كتاب « الخطابة » الذى ألفه الدكتور نقولا فياض ، وكتاب « علم الخطابة » الذى ألفه الأب لويس شـــيخو اليسوعى وأميل اده . كما ظهرت ترجمـــة حـــديثة لخطابة ارسططاليس بقلم المرحوم الدكتور ابراهيم سلامه ثم كان هذا الكتاب الذى تتحـــدث عنه فى هذه الكلمة ، وهو كتاب « فن الخطابة » .

والدكتور احمـــد الحوفى واحد من اولئك الرجال الذين أذووا نضرة حياتهم وزهرة شبابهم فى تحصيل العلم وتعليمه ، حتى انتهى به جهاده الى وظيفة الاستاذية فى كلية دار العلوم . وهو رجل خصب القريحة واسـع الثقافة فى علوم الأدب ، وقد امدت هذه القريحة المواتية والقلم المطاوع المكتبة العربية بنحو عشرين كتابا تدل على غزارة المعرفة بالادب قديمهوحديثه وكتاب « فن الخطابة » الذى نقدمه اليوم احد الجهود الصادقة الموفقة التى بذلها وما يزال يبذلهـا الدكتور الحوفى فى صبر لا يتسرب اليه ملال ، وفى همة لا يدركها كلال .

وكانت الكلمة الأولىفى فن الخطابة للمرحوم الدكتور ابراهيم سلامه ، وهى فى مجملها كلمة تحية وتقدير ، فرأى الكتاب محققا للفكرة التى وضع من اجلها ، قاصدا الى الغاية التى هدف اليها المؤلف من سبيل قريب « وانه الأول من نوعه بين المؤلفاتالحديثة التىتعرضت للخطابة » فما سبقه من الكتب كان يعنى بناحية واحدة فقط ، هى الناحية التى يجـــد فيها المؤلف نفسه ، لأن المؤلف ينزع الى نفسه ، لتدفعه الى ناحية الافكار التى جمع ثقافته حولها .. » ثم يقول ان فن الخطابة جاء مترجما للحديث بفنيته ، ومعبرا عن القديم بمادته ، وانه تناول فى موضوعه كل ما يتصل به الموضوع اتصالا مباشرا مما له علاقة بعلمالنفس وعلم الاجتماع، الى يقظته لـــكل ما قيل فى العصر الحديث ، ولكل ما نشأ عن التطور الحديث » .. ثم ندع المقدمة » او كلمة التقدير اوالمجاملة ، الى عرض سريع لما اشتملت عليه الفصول التسعة التى ينتظمها الكتاب ..

والفصل الأول من هذه الفصول تكلم فيه المؤلف عن الخطابة والخطيب ، فأورد عـــدة تعريفات لها ، وشرح قيمتهـا ، وما يـــدعو لدراستها . ثم تكلم عن عدة الخطيب وصفاته، وهى : الاستعدادالطبيعى ، واللسنوالفصاحة، وسعة الثقافة ، ومعرفة نفسية السامعين ، وسرعة البديهة ، وحرارة العاطفة ، وروعـــة المنظر وجودة الالقاء ، وســـمو الأخلاق ، ثم موازنة يسيرة بين الخطيب والشاعر ، ثم بينه وبين الممثل .



وتحدث فى الفصل الثانى عن نشأة الخطابة وعوامل رقيها ، وهى الحرية ، وطموح الأمة ، والأمية ، وسرعة البديهة،والأحداث السياسية والدينية والاجتماعية ، والحروب والثورات ، والأحزاب السياسية وغيرها .

وتحدث فى الفصـــل الثالث عن نفسية الجماعة ومـلك الخطيب . وفى الفصل الرابع درس انواع الخطـابة ، فعرض تقسيم ارسطو

اياها الى خطابة استشارية ، وخطابة قضائية ، وخطابة استدلالية . واتجاه كل منها وغايته ، ثم نقد هذا التقسيم ، ودرس التقسيم الحديث الى خطابة سياسية ، وقضائية ، وحفلية ، ودينية ، وحربية .. وذكر خصائص كل نوع منها وتاريخه وغايته واعلامه من القدامى والمحدثين .

وفى الفصل الخامس تعرض المؤلف للاجزاء التقليدية للخطبة ، وهى المقدمة ، والعرض ، والتدليل ، والتنفيذ ، والخاتمة ، وقد درس هذه الأجزاء ، وترتيبها ، وخصائصها ، وامثلتها فى ست وعشرين صفحة .

أما الفصل السادس فقد تكلم فيه عن الأسلوب الخطابى ، ووازن بينه وبين الأسلوب الكتابى ، وعرض لقضية اللفظ والمعنى ، ثم شرح خصائص الأسلوب الخطابى ، وهى عنده الاطناب ، والوضوح، واثارة الشعور،وموسيقى الأسلوب ، والقياس المضمر .

وتكلم فى الفصل السابع عن الارتجال فى الخطابة والاعداد لها . وخصص الفصل الثامن للحديث عن تصور الأمم للخطابة ، فتحدث عن اليونان واورد نموذجين من خطب ديموسنيس ثم عن الرومان وشيشرون ، ثم عن العرب والمحدثين ، ثم تكلم عن المراة والخطابة .

وخصص الفصل التاسع للحديث عن الخطابة السياسية فى العصر الاموى .

هذه هى فصول « فن الخطابة » اشرنا اليها بايجاز ، لكى نبين الموضوعات الكثيرة التى عرض لها الكتاب ، والتى عالجها علاجا جيدا واعيا يشهد لصاحبه بالاحاطة بموضوعه والالمام باكثر اطرافه التى يعنى القارىء الالمام بها . كثير من هذه الموضوعات جديد فى تناوله ، ولا سيما الفصل الثالث والفصل السادس والسابع والثامن والتاسع ، وتمتى بجدة التناول ان هذه الموضوعات درس بعضها او اجزاء منها فى كتب الأدب العام ، ولكنها حظيت فى هذا الكتاب بشىء من التفصيل وكثير من التنظيم ، ولا شك ان هذا الكتاب المتخصص هو فطنة التفصيل وفطنة التنظيم ايضا ، ومن هاتين الجهتين تلتمس ميزة



الكتاب التى يفضل بها من الجهود والتأليفات التى سبقته فى فن الخطابة .

ولا يمنعنا تقدير الجهود المشكورة التى بذلها الدكتور الحوفى فى هذه الموسوعة الخطابية فى وعى واخلاص لم بهما شتات هذا الفن ، ووصل بهما قديمه بحديثه ، من ان نبدى بعض الملاحظات لتكون كلمتنا مشاركة بناءة فى خدمة الموضوع وبعض هذه الملاحظات يتصل بالشكل وبعضها يتصل بوجهة نظر تفيد من هذا البحث القيم الذى يثير كثيرا من الفكر والآراء التى تتصل بموضوعه .

وأولى هذه الملاحظات عناية السيد المؤلف بابراز بعض الأفكار التى تناولها فى صلب كتابه وكتب لها عناوين كبيرة لا تقل فى حجمها او مساحتها عن حجم عنوان الكتاب الخارجى فى حين ان بعض هذه الأفكار لا يصل الاهتمام به الى هذه الدرجة من العناية فالعنوان يشوقك بجمال خطه الذى تانق فيه شيخ الكتاب المعاصرين سيد ابراهيم فى حين أن عنوانا جزئيا كان فيه الكفاية للدلالة على المراد ؛ ولو كان الموضوع يستحق مثل هذه العناية فان الدراسة التى جعلت لها هذه العناوين الكبيرة دراسة موجزة الى اضيق حدود الايجاز الذى يدعو الى ادماجها فى غيرها ؛ ولا احب ان ادع هذه الظاهرة — وان كانت تتصل بالشكل — دون تمثيل ، ففى رأس الصفحة (٤٣) عنوان كبير بالخط الفارسى الجميل هو « الخطيب والشاعر » واذا نظرنا الى ما تحت هذا العنوان الجميل

الكبير الذى كان راس صفحة وشغل موضع اربعة أسطر الفيناه اقل من صفحتين . وكذلك فى راس الصفحة (٤٥) عنوان كبير بالخط الفارسي الجميل هو « الخطيب والممثل » فى حين ان الموضوع كله بما فيه العنوان لايتجاوز صفحة واحدة هى صفحة (٤٥) ثم ينتقل فى الصفحة التالية (٤٦) الى فصل جديد هو الفصل الثانى الذى عقده لدراسة نشأة الخطابة وعوامل رقيها.

واعتقد ان فى امثال هذا كثيرا من الاسراف، وكثيرا من الترف الذى اعتقد ان المؤلف لايحرص عليه حرصه على الدرس المستفيض العميق .

كما اعتقد ان الموضوع الأول بخاصة « الخطيب والشاعر » كان يتسع لدراسة اوسع وأعمق اكثر من القول بانه كان فى العرب شعراء خطباء من امثال عمران بن حطان ، ودغفل ، ونصر بن سيار ، وبشار بن برد ، والطرماح بن حكيم ، والكميت ، وكلثوم بن عمرو العتابى ، وسهل بن هارون ، وان حافظ ابراهيم كان يلقى قصائده القاء الخطيب المصقع المجيد ، فيتأثر بها سامعوه اكثر من قارئيه ، وان الجارم كان يفتن فى القاء شعره فيخلب ، بينما لم يلق شوقى قصيدة من قصائده ، وانما كان يتخير من يلقيها فى المحافل ، وأن فى الفرنجة كثيرا من الشعراء الخطباء مثل لامارتين الذى هز المنابر بخطابته ، كما هز القلوب بشعره ، ومثل جورس الخطيب الشاعر الذى كان فى العشرين من عمره يمشى على شواطىء الكمارون مرددا فى الفضاء نثره الشعرى الرائع ، وكليمانصو شاعر فى كتابته وخطابته ، وبيرون خطيب فى شعره !

كنت أعتقد ان الموضوع يتسع لأكثر من هذا ، فيبحث بحثا مفصلا عن اصالة هذين الفنين – الخطابة والشعر – مع تفصيل مجال كل منهما ، وشرح العوامل التى جعلت من هذا الاديب شاعرا ، وجعلت من غيره خطيبا ، او جعلت من اديب واحد خطيبا شاعرا فى وقت واحد ، وهى عوامل نفسية واجتماعية كثيرة معروفة .

ولا أحب أن ادع هذا الموضوع بعد ان استوقفنى قول الدكتور الحوفى فى الموازنة بين الخطيب والشاعر ، أو بين الخطبة والقصيدة « وللقصيدة وحدة عضوية ، اما الخطبة فانها ذات أجزاء ومراحل فى أكثر الأحيان » فلست افهم على التحديد ما يريد الكاتب ان يقول الا ما يدل عليه ظاهر عبارته ، وهو أن للقصيدة وحدة عضوية ، اما الخطبة فلا وحدة عضوية لها لانها ذات أجزاء ومراحل فى أكثر الاحيان !

واذا كان هذا هو المعنى الذى يريده الدكتور الحوفى فانى لا أوافقه عليه ، بل اخالفه فيه ، واذهب الى أن العكس هو الصحيح ، لأن تكوين الخطبة من اجزاء ومراحل لا ينفى اجتماع الوحدة العضوية لها ، لأن كل جزء من أجزاء الخطبة مرتبط بما قبله ، ومرتبط كذلك بما بعده ، وهذا الارتباط ينبغى أن يكون شديدا بين الأجزاء ، وكل ما يمكن ان يضاف أو الا يضاف – كما يقول ارسطو – دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءا من الكل . والوحدة العضوية فى الشعر تكلم عنها ارسطو فى لونين فقط من الوان الشعر هما شعر الملاحم والشعر المسرحى أما الشعر الغنائى فقد اغفل ارسطو الكلام عن الوحدة فيه ، بل لا نجد فى كتاب « فن الشعر » حديثا اى حديث عن الشعر الغنائى .

ويعرف صديقنا الدكتور الحوفى أن اكثر القصائد العربيه المأثورة تفقد هذه الوحدة العضوية وتتعدد فيها الموضوعات .

اما الخطب والرسائل فانهما الاصل فى هذه الوحدة ، وليس تكونهما من اجزاء سببا من اسباب فقد تلك الوحدة كما يرى الدكتور ، فان كل عمل ادبى منظوما او منثورا لا بد ان يتكون من أجزاء . والذين نشدوا هذه الوحدة فى الشعر من نقاد العرب انما قاسوا الشعر فى هذه الناحية بالخطبة والرسالة اى ان الخطبة والرسالة هما الأصيلتان فى تلك الوحدة، ووحدة الشعر تقاس بالوحدة فيهما ، فالحاتمى (ت ٢٨٨ هـ) يمثل القصيدة بالانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالمه، ثم يقول : وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها

واعجازها ، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل منها جزء عن جزء » ..

والأصل فى ذلك ان الخطيب والكاتب ، كلاهما يعالج موضوعا واحدا فى الاغلب ، لان لدى الخطيب فكرة ينادى بها ، ومبدأ يدعو اليه ، وهو الذى حفزه للكلام ودعاه للخطابة ، فالوحدة موجودة بطبيعتها فى الخطبة ، وكذلك فى الرسالة اذا كانت ذات هدف يرمى الكاتب الى تحقيقه منها .



ومن هذا يؤخذ على الدكتور الحوفى قوله عن العرب فى معرض كلامه عن الخطابة فى تصور الأمم : ان العرب فى الغالب لم يتصوروا الموضوع وحدة ذات معان مرتبة كما تصور اليونان والرومان ، وانما كانت لهم لفتات ونظرات الى ما يهمهم من الموضوع ، فلا يستقصون ولا يرتبون الأفكار ، ولعل سبب ذلك شيوع الارتجال ، واستشهد على ذلك بقول الجاحظ « وكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة ولا استعانة ، وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام » .... وكأنه حسب ان الارتجال ينافى هذه الوحدة ، وكأنه يراها لا تتحقق الا بالاعداد والروية والتحبير . وليس الرأى عندنا ذلك ، فليس الارتجال الا آية القدرة والتمكن ، ومعنى كلام الجاحظ واضح ، وهو أنه يريد ان يقول ان ما يدركه العرب بديهة وارتجالا لا يتأتى لغيرهم الا بعد معاناة ومكابدة ، وهذه عبارة الجاحظ صريحة « فما هو الا أن يصرف ــ الخطيب العربى ــ وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولايدرسه أحدا من ولده ، وكانوا اميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون » وشتان بين مفهوم هذا الكلام وغايته ، والوحدة التى لا يتعلق بها شىء من هذا الكلام !

وكنا نتوقع فى بحث متخصص فى فن الخطابة يدرسها عند العرب وعند اليونان والرومان أن ينتبع ما ذكره الجاحظ من ان ابراهيم بن مخرمة السكونى الخطيب كان « يعلم فتيانهم الخطابة » فان هذه العبارة الموجزة تفتح لنا آفاقا فى دراسة الخطابة عند العرب ، وتدل على عظم تأثرهم بتعاليم السفسطائيين الذين كانوا يعلمون أبناء الأشراف الخطابة ، وتدلنا فى الوقت نفسه على أن الخطابة اصبحت عند العرب اذ ذاك علما له اصوله وله معلموه وله تلامذته ، كل ذلك كان فى حاجة الى دراسة وتتبع واستقصاء وقد وجد الدكتور المفتاح فى هذه الكلمة الموجزة ، ولن يقنعنا منه مع هذا النص الصريح أن يقول لنا « اذا كان اسحاق بن حنين قد ترجم كتاب الخطابة لارسطو فان أثره كان ضعيفا فى الخطباء ، لانه لم يشع بينهم ، ولأن الفطرة غلبت عليهم ، ولأن الخطابة لم تكن تعلم كما كانت تعلم عند اليونان والرومان » !

ثم ان المؤلف يكبر من شأن الاعداد ، ويغض من شأن الارتجال فى الخطابة ، ويقول فى ذلك « للاعداد مزايا ، لأن الاساليب المرتجلة أقل بهاء ورونقا من المعدة ، أما الافكار المرتجلة فانها فجة مبتسرة اذا قيست بالأفكار المدروسة الناضجة المختمرة . ثم ان ظهور الخطيب أمام الجمع بمظهر المجازف الذى لم يعد القول فيه اعتداد بالنفس واستهانة بالحاضرين ، وتبجح بعدم الاهتمام ، ودعوى أن خاطر الخطيب أسرع من خواطر الناس ، وهذه كلها صفات لا ترتضيها الجماعات » .

وليس من شأن الخطيب أن يكون مجازفا ، بل لا بد ان يكون صاحب رأى ومبدأ وعقيدة

وهذا الرأى أو المبدأ أو العقيدة هو الذى يدفعه دفعا الى القول ، فاذا لم يكن ثم شىء من ذلك فان الخطبة لا اصل لها ولا اساس ، وما الذى يدعو الى حشد الناس أو جمعهم غير ذاك ؟ ولا يكون خطيبا من يجمع الناس لهم، ثم لايسمعهم الا ثرثرة وهذيانا .

وعلى كل حال فان الأساس فى الخطبة ان تكون قولا . وقراءة الكلام المكتوب خطابة من باب التجوز أو التساهل ، بعد ان عرفت أدوات الادب ، فهنالك كلام منظوم ، وكلام منثور ، والمنثور قولى وكتابى ، والأول اداته اللسان والآخر اداته القلم . وليس من يجيد صناعة القلم مجيدا الوقوف امام الجموع ، لأن مواجهة الجماهير والتحدث اليهم فن آخر له عدته وأدواته التى شرح الدكتور كثيرا منها . ونحن نتردد كثيرا فى قبول قول الدكتور أن الاعداد فى الخطابة العربية كان اكثر شيوعامن الارتجال، لأن ما ساقه من الأمثلة لا ينهض دليلا على الاعداد كما نفهمه ، كقوله فى حديث يوم السقيفة ان أبا بكر رضى الله عنه قال انه — فى طريقه من بيت الرسول عليه الصلاة والسلام الى سقيفة بنى ساعدة — كان يزور (يعد) كلاما يقوله فى الجمع . وقول عمر بن الخطاب انه كان قد زور (أعد) مقالة قد اعجبته يريد ان يقولها قبل أبى بكر !

فهل نستطيع ان نجازف ونسمى هذا اعدادا ؟ لقد عرف أبو بكر وكذلك عرف عمر باجتماع المسلمين فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فيمن يخلف رسول الله ، فخطر لكل واحد منهما (فى الطريق) ما يمكن ان يقول وما يمكن أن يحمل المسلمين عليه فهل يمكن اعتبار هذا الخاطر (فى الطريق) اعدادا كما يفهم من معنى الاعداد ؟!

ولست اشك فى أن الذى يقرأ هذه الموسوعة الخطابية الجامعة لابد أن تثيره الأفكار المثبوتة فى تضاعيفها ، ومن خصائص البحث الجيد ان يثير الأفكار فى نفس قارئه ؛ وليست حسنة الموافقة باوقع من حسنة المخالفة ، لأن المخالفة دلالة الحيوية فى البحث ، ومن المحال أن يذهب احد الى ان قولا بالغا ما بلغ من الجودة والأصالة هو القول الفصل او الكلمة الأخيرة فى أية قضية من قضايا الادب والفن .



ولقد اجاد المؤلف فى الفصل التاسع الذى خصصه لدراسة الخطابة السياسية فى العصر الأموى ، فدرسها دراسة مفصلة على نحو مبتكر ، اذ شرح عوامل ازدهارها وخصائصها الفنية ، وصحح كثيرا من الأوهام التى تتصل بخطابة الأمويين ، وما كان يقال عن طابع العنف والتهديد فى خطب الخلفاء ؛ وبين الدكتور أن العنف والتهديد كان طابع خطب الأحزاب المختلفة من غير تمييز بين حزب وحزب .

وكانت اجادة الدكتور فى هذا الفصل تطمعنا فى الظفر بدراسة مفصلة للخطابة عند العرب فى سائر عصورها ، وتنتظم عوامل ازدهارها وأسباب تخلفها ، لأننا لا نجد أسبابا جوهرية تدعو الى ايثار هذا العصر دون غيره من الأعصر بالدراسة الواعية ، بل ايثار الخطابة السياسية بالذات دون غيرها من فنون الخطابة.

ان من حق الأدب العربى الذى نخصص فيه الأستاذ وأصبح حجة فيه يطالبه ببحث جديد عن خطابة العرب وفنونها ومناهجها فى سائر العصور ببيانه المشرق وعلمه الغزير ، وما ذلك على دأبه واخلاصه بكثير .

الدكتور بدوى طبانه

ديوان البحتري

تأليف : الوليد بن عبيد أبي عباده

شرح وتحقيق وتعليق : حسن كامل الصيرفي

الناشر : دار المعارف ، ٦٣٩ ص ، قطع متوسط (من ذخائر العرب) ث ١٢٥ قرشا

الحديث عن البحترى حديث مستفيض متعدد الجوانب ، لاتمجه الأسماع ولا تهوم فيه العيون، ففي شعره مجال للتأمل والكثير من قصائده يزخر بالشخوص والأجواء وتحفه الأخيلة والأصداء لما امتاز به عن غيره بجزالة اللفظ وعذوبة الجرس ومتانة الحبك وبراعة التصوير.

ورواية الشعر اليوم غيرها بالأمس البعيد ، فقد كان الشعر لسان العرب يرتكزون عليه فى منطقهم ويدفعون به فى حجتهم ، دافعهم فى الحرب والسلام ، ومنذ نشأته فى البداوة كان يعتمد على سرد الروايه والحفظ ، ويقول ابن سلام عن ابن عون عن ابن سيرين : قال عمر الخطاب ، كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه .

وجاء الاسلام فتشاغلت العرب عن الشعر بانصرافهم الى الجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته . فلما انتشر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا الى كتاب محفوظ وانما تذاكروه بالرواية والحفظ .

وهلك من العرب من هلك فحفظ أخلافهم اقل ما ورثوه من الشعر ، وذهب عليهم منه كثير ، ويروى عن النعمان بن المنذر انه كان لديه ديوان فيه اشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به، وصار ذلك الى بنى مروان من بعده . وعن يونس ابن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم من الشعر مما قالت العرب الا اقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

فلما راجت رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وارادوا أن يلحقوا غيرهم قالوا على السن شعرائهم ما يضاهى غيرهم ثم كانت الرواة فزادوا فى الأشعار التى قيلت ، وأضافوا اليها وبدلوا ، وربما اختلقوا أبياتا ليس لها نص لأسباب عدة منها المباهاة والفخر او النيل والانتقاص .

وعلى ما يقال كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الرواية وكان ينتحل ويؤلف ، غير موثوق به يزيد فى الأشعار وينحل غيره شعره . ويروى عنه انه قدم البصرة على واليها بلال بن ابى بردة ، فلما حدثه ، قال بلال : ما اطرفتنى شيئا ، فعاد اليه وانشده قصيدة للحطيئة فى مدح أبى موسى ، فعلق بلال بقوله : ويحك ! يمدح الحطيئة ابا موسى ؟ انا لا أعلم به وانا اروى شعر الحطيئة ... ولكن دعها تذهب فى الناس .

وقيل العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر .

وفى الدولة الأموية ظهر شعراء عظام كالأخطل وجرير والفرزدق والراعى والنميرى وابن قيس الرقيات والكميت وزياد الأعجم وغيرهم ، فكان رواتهم يضيفون ويحذفون دون أن يعترضهم مفن أو يردهم ناقد لتباين الظروف واختلاف المواضع اما لدفع كريهة او لجلب منفعة وبعد ان اخذت القبائل تتجمع فى كيان الدولة وتسكن البلدان والأمصار ، وكانت المجالس تكتظ فى الأسواق وفى المساجد ودور السراة

والقواد والخلفاء وشيوخ القبائل الضاربة فى الصحراء ٠

وكان الخلفاء يعنون بالشعر وحفظه ويوصون مؤدبى اولادهم بتلقينهم أحسنه واصفاه ، فكان مما اوصى به هشام بن عبد الملك سليمان الكلبى مؤدب ولده : ان اول ما اوصيك به ان تاخذه بكتاب الله وتقرئه فى كل يوم عشرا يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به ٠ ثم روه من الشعر احسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم هجاء ومديحا ، وبصره بالحلال والحرام والخطب والمغازى ، واوصى المنصور شبيبا القاضى مؤدب ولده المهدى بأن يعلمه الشعر ويوجهه اليه فحفظ منه الكثير ولذلك كانت مجالس المهدى فى ولاية العهد وفى أيام خلافته عامرة بالشعراء يتذوق قصائدهم وينقدها ويبين اخطاءها ويجزيهم احسن الجزاء ٠ وسأل الرشيد يوما ولده المعتصم، ما فعل وصيفك فلان ؟ فاجاب : مات واستراح من الكتاب ، فغضب الرشيد وقال له : اوبلغ منك الكتاب هذا المبلغ ؟ والله لا حضرته أبدا ٠ ووجهه الى البادية ، فتعلم وحفظ الأشعار بها ٠

وفى العصر العباسى انتشرت الكتابة ، واخذت سوق الوراقين والنساخ فى الرواج ، وكانت لهم حوانيتهم التى يدلف اليها الشعراء والكتاب للاملاء والتدوين فتتداول النسخ من يد الى يد ومن دار الى دار بين الحذف والتنقيح او الاضافة والتعديل الى أن تندثر فى خزانة لايطرقها طارق او تنظرها عين فطمست دواوين شعراء كبار امثال بشار وابى نواس وابى العتاهية ومسلم بن الوليد وابى تمام والبحترى، وما ظهر منها دخلت عليها أشعار أخرى لم تكن لأصحابها وذلك بفعل الحوادث والتعصب بين الجماعات واصحاب المذاهب ٠

وفى روايات الاغانى عن عهد أبى تمام : وفى عصرنا هذا من يتعصب له ـ أى لأبى تمام ، فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف، واقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون الفسحة والمكابرة فى ذلك ، ليقول الجاهل بهم أنهم لم يبغوا علم هذا وتمييزه الا بادب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلب الرئاسة ٠ وليست اساءة من أساء فى القليل واحسن فى الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت اساءته ثم احسن لم يقل له عند الاحسان اسأت ولا عند الصواب اخطأت ، والتوسط فى كل شىء أجمل ٠

وروى بعض الشعراء ان ابا تمام انشده قصيدة له أحسن فى جميعها الا فى بيت واحد ، فسأله : يا ابا تمام ، لو ألغيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب ، فأجابه : أنا والله أعلم منه مثلما تعلم ، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده فيهم الجميل والقبيح ، وان احب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوى بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر ٠

وادرك البحترى ابا تمام فى اول شبابه ودرس عليه ٠ وقربه ابو تمام وأعانه وقدمه الى محمد وحبه من وجوه العرب كابى سعيد محمد ابن يوسف الثغرى وآله وابى الحسن الهاشمى وعلى بن مر ومالك بن طوق وأحمد بن محمد الطائى وآل حميد الطوسى وغيرهم من سراة العهد فقربوه وأعجبوا بشعره واجازوه واستزادوه ٠

ومات أبو تمام وعاش البحترى بعده محط الانظار مرموقا من الولاة والحاكمين حتى وصل الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل وكان اديبا ذواقة للشعر ومن بعده الى الخليفة نفسه الذى ادناه من مجلسه وجعله من خاصته وندمائه المقربين ثم شاعر النصر :

فالبحترى ربيب نعمة ابى تمام باعترافه وفيما نظمه من معانيه ، ولا عبرة بتنفيذ (الآمدى) فى حوار صاحبيه اذ يقول على لسان صاحب البحترى ، اما الصحبة له (أى لابى تمام) فما صحبه ولا تتلمذ عليه ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ... فان كان هذا صحيحا ـ فى اعتراف البحترى به ـ فهو للبحترى لا عليه ، لان قوله هذا يدل على أن شعر ابى تمام كثير الاختلاف ، وشعر البحترى شديد الاستواء ، والمستوى الشعر اولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد

اجتمعنا نحن وانتم على ان ابا تمام يعلوا علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا ، وان البحترى يعلو بتوسط ولا يسقط • ومن لا يسقط ولا يسف افضل ممن يسقط ويسف • وفى راينا ان هذا افتيات على الحق ، وتعصب لا محل له لان ابا تمام له ميزات كثيرة يبز البحترى فيها وفى ذكرها خروج بنا عن موضوع المقال •

احتفى القوم بالبحترى واستعذبوا شعره شانهم شان جميع العرب بما ورثوه كما قلت من حب الشعر وتمجيده ، فهم بما مدحوا كانوا يرون ما فيهم فتهزهم الاريحية للبذل والعطاء والمودة ويولد روح التعاطف بينهم •

كان البحترى يقر بفضل ما وصل اليه وينسبه الى ابى تمام ، ويقول : ما اكلت الخبز الا به ، وعن ابى بكر الصولى : حدثنى على بن اسماعيل النوبختى ، قال لى البحترى ، والله يا ابا الحسن لو رايت أبا تمام الطائى ، لرايت اكمل الناس عقلا وادبا ، وعلمت ان اقل شىء فيه شعره •

وتزعزع كيان الدولة وقتل المتوكل ، واستولى الموالى الاتراك على الحكم ، وانقسموا على انفسهم بعضهم على البعض ، وشاع الاغتيال وكثرت الشيع والدسائس ، ووقف البحترى فى مهب الريح يواجه كل اتجاه وهو آمن على خوف يمدح هذا وذاك ويساير الحكم انى يكون ، يهجو النائى البعيد ويمدح الدانى القريب حتى قيل انه هجا نحوا من اربعين رئيسا ممن مدحهم منهم خليفتان هما المنتصر والمستعين وساق بعدهما الوزراء والكتاب ومن جرى مجراهم من القضاة والعمال بعد أن مدحهم وأخذ جوائزهم ، وان حاله فى ذلك تنبىء عن سوء العهد وخبث الطريقة كما اشار المرزبانى •

ويروى صاحب الاغانى عن ابن البحترى (ابى الغوث) انه : لما حضرت البحترى الوفاة دعا به ، وقال : اجمع كل شىء قلته فى الهجاء ففعل ، فامره باحراقه قائلا : يابنى هذا شىء قلته فى وقت ، فشفيت به غيظى ، وكافات به قبيحا فعل بي وقد انقضى اربى فى ذلك ، وان بقى روى ، وللناس اعقاب تورثهم العداوة والمودة ، واخشى أن يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لافائدة لك ولا لى فيه ••

واستطرد ابو الغوث ، فعلمت انه نصحنى واشفق على فاحرقته •

فاذا كان هذا شأن البحترى نفسه فى شعره، فما بال ما كان عند ممدوحيه وهم خصوم واعداء فى ذاك العصر غير المامون ، لاشك ان نسخ ديوانه قد امتدت اليها يد البتر والتشويه أو زيد عليها نظم غير نظمه اريد به تغيير المعنى على ما يقضى حامل كل نسخة . وفى مثل هذا التغيير يقول الدكتور « محمد صبرى » فى كتابه البحترى (٤ الشوامخ) ان الشاعر الكبير ينقح شعره طول حياته ، وهذا هو السر فى اختلاف نسخ الديوان وتنوع الروايات ، فقد يتفق لنا ان نجد فى احدى النسخ الخطية بيتا او أبياتا ساقطة من قصيدة منشورة فى الديوان ، فيتبين لنا من مقارنتها ببقية القصيدة ان الشاعر قصد فعلا أسقاطها من شعره ، فليس من العدل ادخالها فيه ، وانما يكتفى بالاشارة اليها • وقد كانت جميع النسخ فى أيام أبى العلاء اى منذ القرن الرابع مشوهة مغلوطة لاختلاف الروايات المنقولة ولاختلاف السماع ، وقد تبين لنا ذلك بعد درس طويل ، مما لاريب فيه انه لأجل تيسير اقتناء نسخ عديدة من الديوان كان النساخ يجتمعون فى مكان واحد ويكتبون تحت املاء واحد منهم ، ولما كان اكثر النساخ فقهاء سقيمى الفهم كان كل منهم يسمع ما يسيغه فهمه واذنه ، فتخرج النسخ منذ البداية معتلة ثم يتعاقب اعتلالها ويزداد بتعاقب العصور والنساخ •

طال بنا الحديث وكاد يخرج عن نطاقه ، ولنعد الى المجلد الاول من ديوان البحترى الجديد الذى عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه صديقنا الاستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى وطبعته دار المعارف فى ذخائر العرب •

وهذا الديوان الجديد لم يبز كل ديوان سبقه لشعر البحترى فحسب ، وانما ظهر كاحسن

ما يظهر به ديوان لشاعر ضخم كالبحترى ، وحبذا لو نحا جامعو دواوين شعراء العرب الفحول هذا المنحى العميق الذى صرف فيه الصديق الصيرفى زهاء خمسة عشر عاما فى جهد عنيف ، اذ راجع الطبعة الجديدة على خمس عشر مخطوطة ومطبوعة والمخطوطات صورها من باريس والأستانة وليبزيج وميونيخ والمدينة المنورة والقاهرة . وهذه المخطوطات يختلف بعضها عن بعض فى الروايه والدقة فى تلك الرواية ، كما يختلف بعضها عن بعض فى النقص أو الزيادة فى عدد القصائد وعدد الأبيات بل فى ترتيب الابيات كذلك ، واحيانا فى مناسبة القصيدة .

ويكفى كل هذا عناء ما تكلفه وارهقه من مراجعة النصوص والابيات ناهيك بالشرح والتفسير وشرح الكلمات وذكر الوقائع وتاريخ الممدوحين. فهذا جهد شاق ينوء به افراد يشتركون فيه ، فما بال فرد واحد كرس نفسه له وتحمله بصبر وعزيمة بدافع اعجابه بالبحترى ودراسته له .

ويذكر الاستاذ الصيرفى انه « كم من مرة حدثته النفس بالتوقف عن هذا الأمر ، وتخليص النفس من هذا الاسر ، والبعد عن هذا الطريق الوعر ، ولكن هاجسا خفيا كان يهنف بى الا أترك الأمانة التى قيضتنى الأقدار لها عن غير علم بالا أدع شعر هذا الشاعر الفنان ينشر على الناس فى مظهر لا يليق بجمال شعره فى حين يظهر شعر من هم اقل مرتبة منه فى مظهر انيق وعلى جانب كبير من الدرس والتحقيق » .

واننا لنحمد الله على أن طاوع هاجسه وأدى الأمانة بما يرضى الضمير والنفس معا ، فاظهر المجلد الأول من الديوان مقدرا لمعاونيه فى اصداره معاونتهم له فى افساح الطريق » .

وانه لمشكور على ما صنع ، وما اداه للأدب الحق من واجب مضاعف . وفى المجلد غلطات مطبعية لايخلو منها كتاب مطبوع مهما حاول واصفوه وناشروه ، وهى هنات لا ماخذ عليها ، وكنا نحب لو الحقها الأستاذ الصيرفى فى نهاية كل مجلد من الديوان مع الاستدراك ليسهل على القارىء مراجعتها أو الرجوع اليها ، ويخيل لنا انه آثر الحاقها فى آخر مجلد من الديوان .

كذلك لا حظنا فى بعض القصائد انه ترك بعض الابيات على علها وصححها فى الشرح (الحاشية) ، فمثلا فى القصيدة ٤٩ ص ١٤٢ قال البحترى يهجو الحسن بن القاسم القضاعى (البيت الثانى) .

فقلت لما أتى دهياء معضلة
ابل وجدد متى أحدثت ذا النسب

وذكر فى الحاشية : هكذا ورد عجز البيت، ولعل وجهه الصحيح ؟

« ابن وحذر متى أحدثت ذا النسبا »

والمفروض ان الابيات المغلوطة تصحح فى القصيدة ويشار فى التعليق الى خطا الاصل لتكون القصيدة سليمة لايقف القارىء فى تلاوتها وتقطع عليه تفكيره مع خيال القصيدة وصورها

وفى القصيدة التى يمدح فيها أبا سعيد الثغرى ص ١٩ البيت ٥٥

فاذا ما رياح جودك هبت صـ
ـار قول العذال فيها هباء

وصحة الشطرة الاولى تنتهى بكلمة (هبت) وتبتدىء الشطرة الثانية بـ (صار) على وزن النغم والمفاعيل .

وفى القصيدة ٣ يمدح ابا جعفر محمد بن على القمى ص ٢١ :

ملك اغر لآل طلحة فخره
كفاه أرض سمحة وسماء

والحاشية تنوه أن ننسخ ارذ رو رز زط تضع تجره اى الاصل مكان (فخره) ، والأولى أوقع من الثانية فى نظرنا .

وفي القصيدة ٢١٥ ص ٥١٤ في أبي مسلم الكجي واسد بن جهور ، البيت الثاني :

لم أر كالبحر لم يرحم معـذبه

والوصل لم يعتمد معطاه بالحسد

فالشطرة الأولى مختلفة ، وربما كانت (لم اتق كالبحر لم يرحم معذبه) ٠

وفي الصفحة الأولى فيما ذكره ابو هـلال العسكرى عن القصيدة التى قيلت في دينار بن عبد الله التى اولها ،الم تر تغليس الربيع المبكر، فجاءت كلمة (تعليس) بدلا من تغليس (بالغين)٠

وهذه كما قلنا هنات لم يسلم منهـا كتاب مطبوع ولا تمس المجهود الرائع ٠

أما شعر البحترى واثره وخاصيته ، وموازنته بغيره من شعراء العربية ، وحيـاته السياسية والفكرية والاجتماعية فهذا له مجال آخر لايتسع له هذا الباب ٠

وانا لنرجو للصديق الأستاذ الصيرفي كل التوفيق في اتمام سائر المجلدات ليتم الديوان على هذا النهج الدقيق فيزود المكتبة العربيه بما هى في حاجة اليه ٠

والمجلد يشتمل على ٢٥٩ قصيدة من حرف الالف الى حرف الدال ويقع في ٦٣٨ صـفحة

وللصديق بعد هـذا اجمل التحية وحسن التقدير ٠

عبد السلام رستم



سطور من كتاب ....

انني ارتعد عندما أتصور شباب ١٩٦٤ ،لايقدر هذا التطور الخطير قدره ، لانه نما وكل الاحداث حوله تحاول ان تقدم اليه حقه في الحياة والعمل والفرصة المتكافئة ، لانه لم يع تاريخه القريب قبل الثورة ، ولم يعرف كم عانى الجيـل الذى سبقه وكيف كانت تحكم بلاده ؟

... قصة ملك و ٤ وزارات

الاشتراكية والتربية

تأليف
الدكتور محمد جمال صقر

الناشر : النهضة العربية .
٢٢٤ ص قطع متوسط . الثمن : ٣٠ قرشا

هذا الكتاب يتناول موضوعات التربية، ويعالج مشكلاتها ، فى ضوء التطورات الحديثة التى طرأت على مجتمعنا الجديد – مجتمع الثورة الاشتراكية – ويستوحى من هذه الثورة مفاهيم جديدة للتربية والتعليم توائم هذا التطور ، وتجعل من المدرسة اساسا راسخا فى بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد .

وكان لابد لعلماء التربية أن يعيدوا النظر فى مناهجهم وآرائهم بعد هذه الثورة الاشتراكية، التى قلبت الأوضاع ، وحطمت التقاليد ، وأذابت الفوارق ، وغيرت وجه الحياة ، كان لابد من ثورة تربوية تتجاوب مع هذه الثورة ، وكان لابد من اعادة النظر فى مخطط التعليم ، ودور المدرسة الحديثة فى بناء المجتمع الاشتراكى ، ومعالجة طرق التدريس التى تدعم هذا البناء ، واعداد المدرس الصالح للمشاركة فى خلق هذا المجتمع .

وكل هذا تناوله الدكتور محمد جمال صقر فى كتابه « الاشتراكية والتربية » باسلوب العالم المتمكن من مادته ، والمؤمن بمجتمعه الجديد ، المدرك لحاجاته ومطالبه ، الواثق من رسالته . فجاء كتابه فتحا جديدا فى عالم التربية الاشتراكية ، وثورة على القديم البالى من نظريات التربية القائمة على الاثرة والانانية وتمجيد الفرد ، ودعوة الى انقلاب شامل يجعل التربية فى خدمة المجتمع ، واستخدامها فى بناء الاشتراكية التى تدعو اليها الدولة .

والكتاب يقع فى ٢٢٣ صفحة من القطع المتوسط ، واخرجته مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، ويشتمل على مقدمة وستة ابواب .

وفى المقدمة يشرح المؤلف مفهوم التربية بأنها وظيفة اجتماعية ، تستمد ضرورتها ، وتكتسب مدلولها ومفهومها الحقيقى من الأهداف التى تعمل على تحقيقها . ومن الغايات التى تسعى الى الوصول اليها ، فهى بهذا المفهوم ليست الا تعبيرا وانعكاسا للاتجاهات السائدة فى المجتمع ، هذا ولما كانت النظم التربوية منذ القدم تهدف دائما الى اعداد الفرد لنوع خاص من الحياة ، وتهيئته للتكيف والتلاؤم مع واقع حى وطبيعى ، فقد تعددت الأنماط الثقافية والتربوية عبر التاريخ ، وأصبح لكل مجتمع أنماطه التربوية والثقافية التى تتلاءم مع أوضاعه ومطالبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فرأينا فى العصور القديمة تربية أسرية ومدنية، وفى العصور الوسطى تربية دينية وعالمية ، وفى أوائل هذا القرن تربية قوميه ودينية ، ثم اصبحت سياسية وعلمية وتكنولوجية فى العصر

الحديث • أما الآن فان المجتمع الاشتراكي حين يضع نظاما للتعليم لابد أن يكون هدفه اعداد المواطن الذى يتأثر بما طرأ على المجتمع من تغييرات، والذى يعمل من أجل تدعيم البناء الجديد للمجتمع ، والحفاظ عليه وربط حياته وتفكيره بالنظام الذى سيكون اطارا لحياته ونموه وازدهاره ومعيشته الواقعية ، لأن فكرة المجتمع الاشتراكي تطهير العقول والعلوم والفنون من رواسب التحكم بكل انواعه ، والسيطرة بكل مظاهرها ، ولأن ما طرأ على هذا المجتمع الاشتراكي من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية يستتبع تغييرا جوهريا فى اعداد النشء عن طريق التربية والتعليم ، وعن طريق ثقافة تلائم النظام الاشتراكي ، وتصلح له •

وفى الباب الأول يذكر المؤلف كيف أن العالم يتجه الآن نحو الاشتراكية ، وان المبادىء والافكار التقدمية تنتصر فى عصرنا الحديث ، وبخاصة فى الدول النامية ، التى تحررت من السيطرة الأجنبية ، ومن قبضة الاستعمار • ولقد تعددت نظم الاشتراكية ووسائل تطبيقها رغم اتفاق الناس جميعا فى فهم معناها الواسع ، وذلك لاختلاف ادراك الشعوب للفلسفة الاشتراكية واسلوبها • وهى فى نظرنا محاولة لاقامة مجتمع ينظر فيه الناس بعضهم الى بعض كاخوة ، ويؤثرون التعاون على التنافس والتطاحن بمعناهما البغيض ، والاشتراكية فى نظرنا - فوق ذلك - أكثر التنظيمات الاجتماعية احتكاما الى العقل ، واكثرها عدالة وكفاءة• وهناك أسباب كثيرة تفسر تحول الناس الى الاشتراكية : منها تطلعهم الى تحقيق الأمن المادى والأمن المعنوى لأفراد المجتمع فى ضوء التقدم العلمى السريع ، والتغيرات التى طرأت على التشكيل الاجتماعى، والمشكلات التى تواجه الطبقات الكادحة ، كانخفاض مستوى المعيشة بين هذه الطبقات ، وحرمانها من ساعات الفراغ والراحة • من أجل هذا كان لابد من التطلع الى النظام الاشتراكي كعلاج لهذه الحالات ، حتى يمكن فى ظله تغيير النظام الاقتصادى الذى حال دون سعادة المجتمع ، وهذا يستتبع تغيير المبادىء السياسية، والمفاهيم الثقافية ، ووضع نظام جديد للانتاج، وصور جديدة للحكم ، ومجموعة جديدة من القيم والأخلاق ، واعادة تنظيم الروابط الاجتماعية والاقتصادية لطبع المجتمع بالطابع الاشتراكي الجديد •

والمجتمع الاشتراكي فى حاجة الى الحرية الفردية والعقلية النقدية ، ويعتمد على الأصالة فى التفكير ، وعلى الذكاء العملى باسمى معانيه • والذكاء لا يعتبر فى نظر الاشتراكية القدرة على الفهم أو على التأمل ، وانما يعتبر أداة للعمل ، وعن طريقه يتحقق الخلق والابداع فى ميادين التشريع والعلم والاخلاق لمجتمع تحددت سماته وصفاته وملامحه واهدافه المميزة ، كما لا يخرج التفكير عن كونه صورة من صور العمل الهادف• وعلى ذلك تكون الحياة فى المجتمع الاشتراكي معناها العمل لتحقيق أهداف معينة ، تتطلب نشاطا مستمرا من نوع ونمط معينين ، وهنا يبدا دور التربية فى قيادة الأفراد وتبصيرهم بالمشكلات الحقيقيه والواقعية التى تواجههم فى الحياة ، وفى خلق القيم الجديدة التى تجعل هدف الدراسة ليست شخصية الفرد السيكولوجية صاحبة الكيان المستقل ، وانما شخصية الفرد فى تفاعله المستمر مع الوسط أو البيئة التى تحيط به • وفى كل مجتمع يثور على الانظمة القديمة ، ويختط نظاما جديدا • توجد مشكلتان رئيسيتان تتطلبان العلاج : اولاهما هى كيفية اعطاء المواطن العادى احساسا اكبر بالمساهمة فى نهوض البلاد ، وثانيتهما غرس المزيد من الاعتزاز بالنظام الجديد ، ولذلك تفرض الاشتراكية على المواطن بذل الطاقة لتحقيق الأهداف العليا ، والانتصار الدائم للفرد على نفسه لصالح الجماعة ، وتفرض على الدولة توجيه التعليم ومراقبته والاشراف عليه لتمكين المواطنين من الايمان بهذه المبادىء والعمل بها ، فرسالة التربية فى المجتمع الاشتراكي هى أن توضح للفرد الغرض الذى ينبغى أن يكافح من أجله ، والعدو الذى يكافح ضده ، وطريقة الكفاح التى يتبعها ، وتسلحه بالحرية الذى يجعل من تفكيره أداة للخلق لا اداة لتحصيل المعرفه ، وبذلك

تصبح العقلية النقدية فى المجتمع الاشـتراكى عنصرا بناء لا عنصرا هداما ، تقدس الانتاج ، وترى فى العمل المحور الرئيسى لكل نشاط ، بشرط ان يكون عملا انتاجيا مثمرا ، يستمد طاقته المادية من الطبيعة لصالح الجماعة · ان العمل من اجل زيادة الانتاج هو اساس الفلسفة التى تقوم عليها الاشتراكية والثورة الاشتراكيه فى ميدان التربية ضرورة حتمية،لأنها تمثل المصالح الحقيقية للافراد ، الذين تتكون منهم الجماعة الانسانية ·

وفى الباب الثانى يعقد مقارنة بين التربية القديمة التقليدية التى تهدف الى ادماج الفرد فى حياة الجماعة ، مع المحافظة على الأوضاع القائمة، والقيم السائدة فى المجتمع ، واعتبارها مقدسات ينشأ الفرد على احترامها ، سواء أكانت اجتماعية أم فنية أم اقتصادية ، وبين التربيه الاشتراكية التى تطور مدلولها تطورا يغاير المدلول القديم للتربية ، ولم يعـد مفهوما غير قابل للنقـد أو التجريح ، ولم تعد قيمها تفرض على النـاس عن طريق سلطة خارجيه · وهذه التربية تهدف الى تنمية الحيـاة الاجتماعية ، بقصد تحقيق الانتقال من التجانس غير المنظم الذى كانت تفرضه التربية التقليدية ، الى التنوع المنسق على حـد تعبير « هربارت سبنسر » وتهيئة الفرد واعداده لكى يتكيف مع الحيـاة فى المجتمع الجـديد ، وتوعيته بالاتجاهات الجديدة لهذا المجتمع بقدر ما تسمح به امكانياته · وبهذا تعمل التربيـة الاشتراكية على تكوين وتنمية الوحدة العضوية للحياة الاجتماعية ، وادماج نشـاط الفرد مع نشاط أقرانه ، بعيدا عن الأثرة والأنانية ، وبذلك تقود هذه التربية الفرد الى تقبل الواجبـات الاجتماعية · فى حرية ، وتسـوقه الى العمل والانتاج فى تناسق ، حتى يصل فى النهاية الى ما نسميه العقد الاجتماعى ، الذى يرضاه ويسعى الى تحقيقه كل مجتمع اشتراكى تقدمى ·

والاتجاهات التربوية فى المجتمع الاشتراكى — الذى عقد من أجلها هذا الباب — ينبغى أن تحقق هدفين :

أ — العمل على اعداد الفرد للتلاؤم السريع مع الحيـاة الجديدة ، باندماجه فى الحيـاة الاجتماعية ، ومشاركته فيها مشاركة فعـالة ، والعمل على اتاحة الفرصـة للطفل كى يعتـاد الاستقلال فى الرأى والتفـكير ، ويتمكن من التكيف مع الحياة فى مجتمع دائم التطور ·

ب — خلق الوعى الاجتماعى ، وتنمية الشعور بالمسئولية نحو الغير ، ونحو المجتمع ·

والمدرسة بحـالتها الراهنة لا تسـتجيب لظروف الحياة الجديدة لمجتمعنا الاشتراكى ، اذ انها لا تعرف الحياة الا عن طريق الكتب والدروس ، بينما يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع الحقيقى ، وأن تعمل فى نفس الوقت على التلاؤم مع طبيعة الطفل ، واعـداد الشباب ، عمليا واجتماعيا وأخلاقيا للشـعور بالتوافق مع الأوضاع والقيم التى تسود المجتمع الجديد ، فتكون المدرسة ميدانا لممارسة الحياة الاشتراكية الحقة باسـهام التلميذ فى تحمل تبعاتها ، وتفهم حقـوقه · ومهمة التربيـة الاشتراكية خلق جيل جديد يكون أكثر تآلفا وتعاونا وميلا لحل المشاكل الاجتماعية ، دون رغبة او رهبه · ثم تنمية شخصية الفرد وخلقة اللذين ستقاس بهما قيمته الاجتماعية ، ثم امتداد التربيـة الى ميادين كانت تعتبر حتى الآن على هامش الثقافة الحقيقية ، كالعمل اليـدوى ، وبخاصة فى السـنوات الأولى للطفل ، وازالة الفوارق بين العمليات العقلية واليدوية وفقـا لاحدث نظريات التربية من أن الانسان « يفكـر بيديه » والذكاء العملى ليس أقل قيمة من الذكـاء النظرى ، لأن العمل هو المصدر الوحيد للثروة فى المجتمع الاشتراكى ، ولذلك يجب اعادة النظر فى طرقنا التعليمية ومناهجنا على ضوء أهميـة العمل اليدوى · وخلق مدرسـة جديدة تلائم ظروف الحياة الجديدة لا تقوم التربية فيها على الخوف والنفاق والوصولية والمنافسة ، وتحديد المناهج بحاجة المجتمع وامكانيات الطفل وقدراته. فان الطفل منذ ولادته يجب أن ينظر اليه على أنه غريب بالنسبة لتركيب المجتمع ، ومن هنا كانت ضرورة التربية ليتكيف الطفل مع المجتمع الذى يعيش فيه · ولا توجد تربية بدون مجتمع يرعى

نمو الطفل وبقاءه • فالتربية وسيلة الاستمرار الاجتماعي ، وهدفها ايجاد التوافق بين الكائن الحي (الطفل) وبين المجتمع الذى يعيش فيه • ولذلك يتحتم فى مرحلة الثورة ان يتولى المجتمع بناء المؤسسات التربوية ، لتدعيم البناء الجديد •

لقد كانت المدرسة وما تزال فى البلاد الراسمالية أداة برجوازية للسيطرة والتحكم هدفها خدمه الطبقة الحاكمة ، أما فى المجتمع الاشتراكى فلا بد أن تتحول المدرسة الى اداة لتذويب الفوارق • واعادة بناء المجتمع على أساس اشتراكى ، وان تهيىء الفرص للتلميذ لكى يعيش فى المدرسة حياة « العمل الانتاجى » فتتلقاه كالعجينة اللينه لتهيئة للاندماج فى حياة الجماعة العاملة •

وفى الباب الثالث تناول التخطيط التعليمى للمجتمع الاشتراكى،وأبان ان كلما أدخل على أنواع التعليم من اصلاحات لم يتجاوز السطح الظاهرى من اضافة بعض المواد أو زيادة بعض سنى الدراسه أو اختصارها ، مع ان المطلوب هو التغيير الجذرى فى نظم التعليم ومناهجه فى جميع المراحل ، وخلق روح تعليمية تتلاءم مع مجتمع اشتراكى حى ، تعمل على تنميته والدفاع عنه ، والحفاظ عليه • وكل ذلك يتحقق بتمتع الفرد بالبقاء أطول مدة بالمدرسة ، فيمتد سن الالزام حتى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة مع التوسع فى كل انواع التعليم ، وبخاصة أنواع التعليم التى تساعد على التقدم الزراعى والصناعى ووفرة الأنتاج ، والعمل على تنمية قدرات التلميذ وامكانياته ليستخدمها فى صالحه وصالح الجماعه التى هو عضو فيها ، وتأمينه ضد العسر الاقتصادى بكافة أنواعه ، وضد المرض ، وضد الاضطرابات الانفعالية ، وضد العدوان الفردى أو الجماعى • ولاجل أن يضمن المجتمع الاشتراكى لكل فرد حياة كريمة منذ طفولته يلزمه أن يعمل على اقامة نظام للتعليم يحقق غرضين :

(١) تهيئة الفرص التى تتيح لكل فرد ان يحقق امكانياته الحاضرة والمستقبلة ، وذلك يجعل نظام التعليم من المرونة بحيث يستجيب الى ميول الأطفال المتعددة •

(٢) ينبغى ايجاد نظام موحد للتعليم يجد فيه جميع الأطفال فرصا متعادلة ، واتاحة الفرصة لكل طفل حسب استعداده ليفيه من عناصر الثقافه فى المجتمع الذى يعيش فيه ، واعداده اعدادا انسانيا متكاملا بكل ما تحتويه كلمة الانسانية من معان •

ان الاشتراكيه تتطلب تعليما متعدد النواحى يشمل دراسة الأسس العلمية العامة لجميع طرق الانتاج ، واستخدام الاطفال للأجهزة أو الأدوات والآلات التى تستعمل فى الصناعات المختلفة ولذلك يجب ان تكون المدرسة متعددة النواحى فى مراحلها الاولى ، ويتحتم أن يمارس التلميذ فيها النشاط اليدوى فى « ورشة المدرسة » او فى المصانع المجاورة • والمدرسة المتعددة النواحى هى وسيلة المجتمع الاشتراكى فى اعداد العمال المهرة والصناع الممتازين ، وهى التى تحقق المبدأ الاشتراكى القائم على الصله والرابطة بين هذه العناصر الثلاثة : العمل ـ الطبيعة ـ المجتمع . وفى المرحله الثانوية يتحتم التخلى عن نظام تقسيم الثقافة ، والفصل بين الاقسام الذى ينتهى بامتحان الثانوية العامة ، وان نقرر تعليما منسقا يصل الى نهاية موحدة تستجيب للاتجاهات الحديثة فى المجتمع • فينقسم ثلاثة أقسام ـ القسم التكنيكى ـ قسم العلوم ـ قسم الآداب والفنون • ويجب أن تكون هذه الاقسام الثلاثة متعادلة فى القيم بالنسبة للحياة الاجتماعية • أما فى التعليم العالى والجامعى فبجانب اعداد النخبة الممتازة من المفكرين ، لابد لنا من نخبة ممتازة من أصحاب الذكاء العملى ، وأصحاب الافعال لا الاقوال ، ولابد ان تتجه الجامعة نحو ثقافة جديدة تعمل على تنظيم المجتمع ، وازدهار العمل الانتاجى ، وان يكون التعليم فيها مباحا للجميع على أساس الاستعدادات الفردية ، والقيمة الثقافية للفرد ، وان تترك للتعليم العالى مهمة تخريج الفنيين ذوى الكفاية للنهوض بالبلاد فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة •

وتناول المؤلف فى الباب الرابع المناهج فى المدرسة الاشتراكية فقال : تتطلب التربية الاشتراكية أن يكون للمناهج وجهان : أحدهما يتصل بالثقافة العقلية بالنسبه للفرد ، والثانى يتصل بالثقافة الاجتماعية بالنسبة للجماعة . والمناهج الاشتراكية تتخذ ميول التلاميذ نقطة بداية ، وتعمل على تنميتها ، واتساع دائرتها داخل الاطار الاجتماعى ، ويجب ان يكون الهدف الذى يعمل من اجله المعلم والتلميذ هو «أن المعرفة فى خدمة المجتمع» ، وان غايتها العمل على رفاهية المجتمع عن طريق العمل والانتاج ، وأن مهمة « مدرسة العمل » هى اعداد المواطن الذى يكافح من اجل بناء وحماية النظام الاشتراكى ، وأن هدف المناهج الاشتراكية هو أن يتعلم الطفل فى المدرسة كيف يتصرف على الطبيعه الخارجية، وبالذات كيف يستغلها ويستثمرها بالعمل .

وتكلم فى الباب الخامس عن طرق التدريس فى التربية الاشتراكيه فذكر أن هذه التربية تطالب باحلال العمل محل التعليم ، أو بعبارة اصح بالتعليم عن طريق العمل.وذلك باحلال العمل الجماعى محل التعليم الجماعى باستخدام « طريقة المشروع » . واحلال العمل بطريقة الجماعات والتعاونيات المدرسية محل التعليم المتبادل ، ثم افاض بعد ذلك فى شرح العمل الجماعى وطريقة المشروع ، وخلص من هذا الشرح الى ان اساس التربية الاشتراكيه السليمه هو الدراسة بطريقة الجماعات ، حيث تفنى شخصية الفرد ، وتنمحى انانيته فى سبيل المجموع ، أو بطريقة التعاونيات المدرسية التى تكون شخصية الفرد باسهامه فى تحمل الأعباء والمسئوليات .

وفى الباب السادس قال : لابد للمجتمع الجديد من معلم جديد ، فينبغى توجيه العناية الى اعداد المعلم الاشتراكى ، الذى هو رائد الثورة التربوية ، ولن يكون عمل هذا المعلم القاء مجموعة من القيم والمعارف التى يرى فيها خير التلميذ فحسب ، وانما يتحتم عليه أن يساعد كل تلميذ على اكتشاف وتحقيق التركيب الجديد الذى ستتكون منه ثقافته الجديدة ، واعداده للعقلية المشتركة ، وأن ينسق بين الاعداد الاشتراكى لتلاميذه وبين المادة التى يدرسها . والواقع أن الغالبية من المعلمين لايزالون يعتقدون ان رسالة المدرسة هى تلقين التلاميذ الأفكار والمعلومات والحقائق التى حددتها المناهج ، والحقيقة أننا فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا لايمكننا الا أن نستنكر طرق التعليم والتربية التى لاتتجه نحو اعداد المواطن الجديد . والمعلمون ليسو دائما على معرفة بالفلسفة الجديدة لمجتمعنا الاشتراكى ، بالرغم مما يوزع عليهم من منشورات وتوجيهات ومحاضرات ، ولايزالون تنقصهم الدراسة العميقة الجدية لأصول وفلسفة التربيه الجديدة . اذ من أهم واجباتهم أن يدركوا — أولا وقبل كل شىء — أن الاشتراكية نظرية اجتماعية تربوية ، شديدة الارتباط والصلة بتطور مجتمعنا الحالى، فعلى المعلمين سواء فى معاهد المعلمين او كليات التربيه أن يدرسوا مذهبنا الاشتراكى بدقة وعناية ، وأن يمحصوا مدلولاته ومفاهيمه التربوية الجديدة ، ولن يكون المعلم صالحا لعمله فى الميدان الجديد الا اذا كان اشتراكيا ، متحليا بصفة القيادة ، ملما بطرق التربية الجماعية ، ذا ثقافة جامعة طابعها حب العمل ، وأن يكون لديه الاستعداد الكافى لكى يفيد ويستفيد من وسائل الاعلام الحديثة ، وأن يجعل نصب عينيه دائما ان اهداف التربية هى أهداف الحياة .

وفى الخاتمة التى كتبها المؤلف فى ذيل كتابه قال : لن تكون هناك ممارسة ثورية اشتراكية بدون نظرية تربوية اشتراكية ، وان المدرسة هى اولى المؤسسات التى تعد الأفراد للحياة فى المجتمع الذى ننشده ، والمدرسة الاشتراكية توجه الطفل نحو (التكنيك) وعن طريقه الى الرفاهية التى يجلبها الرخاء الاقتصادى، ولهذه المدرسه نتائج تربوية هامة : فهى تخضع العلم الحقيقى للانتاج ولاتعترف بالعلم النظرى وحده ، أو العلم لمجرد العلم ، ثم هى تجعل النشاط العقلى يبحث دائما عن المفيد والمثمر ، اما البحث العقلى الخالص فلامكان له فى المدرسة الاشتراكية .

محمود الجبرى



الشعر المصرى بعد شوقى

(الحلقة الأولى)



تأليف الدكتور محمد مندور

الناشر : مكتبه نهضة مصر
١٣٠ صفحة قطع متوسط
ث : ٢٥ قرشا



كتاب الشعر بعد شوقى فى الحلقة الاولى جدير بالوقوف عند كل سطر من سطوره وقفة تأمل ونقاش ٠٠ فبالرغم من انه كتاب جمع عدة محاضرات عمادها الاطالة والشرح الا ان السيد المحاضر او المؤلف آثر التركيز على الاطالة .. فحتم على القارىء ان يظل على قدر من الافاقه امام كل لفظة قيلت، او كل قضيه أثيرت وما أكثرها.. ولكنها افاقة مستحبة ٠٠ فهى تجهد الذهن فى غير املال بل بتفاعل وحميه ينسيان القارىء ما ارهقه ٠

يبدأ الدكتور مندور كتابه بفصل عنوانه « بين القديم والجديد » ٠٠ ليثير فيه قضية هامة هى ان الشعراء الشبان الذين ثاروا على امارة شوقى للشعر لم تكن قدراتهم او ملكاتهم الشعرية واحساساتهم الموسيقية بالقوة التى تقيم للشعر امارة غير امارته ٠٠ ذلك على الرغم من تسلحهم بالثقافة الغربيه الواسعه ٠

وكل الذى أمكنهم تحقيقه هو ان وجهوا الاذهان الى شعر عربى حديث ذى وجهات انسانية أكثر خصبا واصالة ٠٠ ومن ثم فانهم أقرب الى النقد والتوجيه منهم الى الاثمار والابداع ، حتى خليل مطران فبالرغم مما كان يتمتع به من موهبة شعرية مبدعة ٠٠ الا أن أشعاره لم تتغلغل فى صفوف الشعب نظرا لما فيها من تركيب دقيق مغلق وبعد عن مشاكل المجتمع ٠٠ ثم يستشهد المؤلف بقول للعقاد فى تلك الآونة حول مفهوم الشعر ٠٠ « الشاعر العظيم من يشعر بجوهر الاشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها والوانها. وفرية الشاعر ليست فى قوله لك عن الشىء ماذا يشبه ، وانما مزيته ان يقول ماهو ، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به » ٠ ثم يفرد الدكتور مندور بابا للنقد التطبيقى الذى رفع رايته كل من العقاد والمازنى فى كتابهما « الديوان » ٠٠ حيث نجد فيه نداء جديدا يحتم على الشعراء ان يلتزموه ٠٠ الا وهو « الوحدة العضويه او المعنوية للقصيدة » ٠ والاهتمام بالجواهر لا الاعراض فى بنائها ، ويلزم الشعراء المحدثين بالتخلص من نهج القدامى وما سار عليه اعلام

حركة البعث الادبى مثل البارودى فى الشعر وعبد الله فكرى فى النثر والشيخ حسين المرصفى فى النقد .. ولو ان اغلب ما وجه من هجوم كان موجها الى الشعر خاصة الا اننا نســـتطيع ان نرجع هذا الى عامل طغيان شعر شوقى وحافظ على كل ماعداه من مجالات الادب · لكن الدكتور مندور يرى فيما وجهه كل من العقاد والمازنى الى الشاعرين من نقد بل وتقريع قد جانب الصواب وكان اقرب الى التجنى والهدم منه الى الانصاف والبناء .. واستشهد فى ذلك ببعض أبيـــات لامراء فى تكامل ابداعها الفنى ليبرز مقدار هذا الحامل الذى ارتكبه اصحاب مدرسة التجديد.. كقول شوقى :

مصر الاسيفة ريفهـا وصـعيدها

قبـــر أبر على عظـــامك حـــان

وقوله ··

بالله فتش عن فؤادك فى الثرى

هل فيه آمال لنـــا وامانى ·

وحين يقول ..

دقـــات قلب المرء قائـــلة له

ان الحيـــاة دقـــائق وثوان ·

ثم يضيف المؤلف الى ذلك قائلا .. ان الخلاف بين انصار الجديد وانصار القـــديم كان حول ديباجة الشعر وخصائصها ، وحول المعانى التى يباح التجديد فيها .. ثم قيمة هذه المعانى من الوجهتين الانسانية والجمالية ·

لكننا هنا لانستطيع أن نحـكم – كقراء – لصالح طرف من الطرفين .. حكما عادلا الا من خلال توضيح امور ثلاثه .. اولها .. طبيعة المرحلة التى عاشها الطرفان · وثانيها .. مدى التفاعل والاستجابة بين كل من الطرفـــين وبين متلقى انتاجهما وقتذاك من ابنـــاء المجتمع العربى · وثالثها .. هل كان اقتصار النقد على الشـــعر وتجديده مرجعه الى قوة الشاعرين وشاعريتهما، او لاحتياج الفكر الى هـــذا النوع من الابداع احتياجا ملحا ·

ولذا فانه يصبح من حقنا استجلاء موضوع هام هو هل فى استطاعة الناقد نقد نتاج أدبى لمرحلة سابقة .. دون أن يجرب معاناة الانتاج الادبى ، ودون أن يمنح مؤثرات عصره الذى يعيش هو فيه .. أو يكفينا فى هذه الحـــال أن نفسر ونحلل فقط ؟ ..

هذه أسئلة اعترضتنى وأنا أواصل قراءة الباب الثالث من الكتاب عن الشعر التقليدى .. اذ نجد ان المؤلف قد جار على شاعرية الجـارم فلم يدع له متنفسا لحسنة .. الامر الذى جعلنى اشفق عليه من هذا الجور ، واستحلف الناقد متسائلا .. من هو الشاعر أو الاديب الذى ظل طوال حياته الأدبية على مستوى رفيع من الاجادة وحسن الاختيار لم ينخفض عنه ولو مرة .. ؟ فما بالك بالجارم الذى محوت عنه أى ذرة من الاحساس الشعرى على الاطلاق !!

اما اذا انتقلنا الى الفصول الثلاثه التاليـة لوجدناها قد انصبت على شاعرية كل من العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، ونقدها نقـــدا تطبيقيا .. هدانا فيها الدكتور مندور الى نماذج ونتف من اشعارهم .. ثم عمل بمشرطه تشريحا وتفنيدا .. تارة بالتحليـــل الدقيق ، وأخرى بالتأويل البعيد .. واستهل هذا كله بمسلمة نافية .. فانكر عليهم أنهم درســـوا فى مطلع شبابهم دواوين الشعر الانجليزى فى أصولها.. وانمــــا كان منهـــلهم مجموعـــة المختـــارات الشهيرة عند الانجليز باسم « الكنز الذهبى » التى قد كان جمعها فرانسيس پالجريف طبقـا لمنهجه فى الشعر المتميز بالذاتية أو الوجدان .. فاقتصر فى جمعه لمواد الكنز الذهبى على الشعر الغنائى ولم يفسح مجالا للموضوعى من الشعر· ويخرج الدكتور الناقد من هذا بحكم قاطع .. هو اقتصار هؤلاء الشعراء الثلاثة على الوجدان فى شعرهم .. لكن خليل مطران المعاصر لهم هو الذى تميز عليهم بولوجه مجال الموضوعية ..

ويقتضينا الأمر هنا أن نعرف أولا ماهيـة الوجدان أو الذاتية ، ثم نطابق بين هذا الحـكم القاطع وبين نتاج هؤلاء الثلاثة · فيقول الدكتور

مندور ان شعراء مدرسة التجديد قد اختلفوا فى معنى الوجدان ومضمونه .. لمن البين ان يجد الشاعر فى اعماقه او وجدانه فكرا ، وقد يجد عاطفة وقد يجد خيالا كذلك .. فمضمون الوجدان هنا متفاوت الأشخاص ..

لكننا لو التزمنا المنهج العلمى فى دراسة النفس .. لعرفنا أن التفكير مجرى من المعانى التى تثار فى المجال الذهنى ازاء موقف ما ، وان هذه المعانى يتم تكوينها بعمليات عقلية رتيبة هى التجريد والتعميم والتصنيف .. ووساطة كل هذا رموز لغوية تكثر أو تقل تبعا لمدى تجرد المعنى عن الاعراض الحسية الفردية .. ومن هنا نلمس مدى الأصالة الكامنة فى الجوهر دون العرض ، فندرك مدى الصدق النفسى الذى دعت اليه مدرسة المجددين فى الشعر .. أى ان تفاوت المضمون الوجدانى لدى الشعراء الثلاثة لايؤثر بحال على جوهر مذهبهم فى تجديد الشعر •

فاذا ما تذكرنا ان عملية الابداع الشعرى - كما يقول هيجل - يستعين الفنان لها بعقل ايجابى نشط وحساسية حية عميقة ، وان خطوات الابداع الشعرى عبارة عن وثبات متتالية لتكوين كل مترابط .. لقدرنا مدى أهمية دعوة العقاد لبناء شعر عربى جديد .. على أساس علمى راسخ .. الا وهو أساس الوحدة العضوية للقصيدة •

ولننتقل سويا الى فردية العقاد وذاتيته ..

ونتبادل الرأى معا .. هل الذاتية عيب من عيوب الشاعر أو حتى الناقد ان كان صاحب مبدأ فى مفهوم ما ينقده !! ؟ .. اننى أجد الاجابة على تساؤلى عند تولستوى حين يقول .. «طالما تخيلت نفسى رجلا عظيما يكتشف الحقائق لخير الانسانية •• فكنت انظر لسواى من الآدميين وانا أشعر بقدرى » • وهاهو جوركى ينفعل بما يقارب هذا المعنى فيقول .. « كنت ارى اننى فهمت واحسست اشياء معينة بطريقة تخالف طريقة الناس وفى ذلك الحين بدا الناس بالفعل ينظرون الى كقصاص مشوق » • فذاتية العقاد هنا لم تكن قاصرة أو سلبية .. وانما هى كحال كل عبقرى يحقق من خلال «الانا» خير « النحن » وهذا هو ماحدث فعلا ويحدث الآن فى تيار الادب•

ومن خلال هذا المفهوم كان لابد أن ننظر الى شعر مدرسة العقاد ، وأن نلتزم جانب الانصاف فلانبتر عنصرى التفاعل كما وجدنا فى الكتاب حين يقول « اثر المحدثون فى مدرسة الديوان - أى مدرسة العقاد - دون ان تؤثر هى فيهم » •

ثم نلمس طوال عملية النقد التطبيقى لشعر العقاد ان الدكتور مندور قد التزم بالمذهب التأثرى فى النقد .. اذ اخذ يبرز فى كل صفحة فكرة أن الجانب العقلى لدى العقاد قد تغلب على شاعريته فابعدها عن الرقة والحساسية المتطلبتين لكل قصيد ، وان كبرياءه واحساسه بعظمته مع غفلة الناس عنها قد شغلاه عن محاولة الاجادة فى شعره .. ولا أدرى لم يحضرنى هنا شبح المتنبى شامخا بانفه ليباهى بشخصه شعرا لايبارى فى مجال الفخر جودة وجزالة .. أما ان كان هذا البيت يعجب أو لايعجب .. فأمر هذا موقوف على مدى التذوق وكيفيته .. وهنا يكون طريق النقد قد قطع عند ثلثه فقط .. فلا صلة لنا فى اقناع أحد كى يعجب بهذه الابيات القائلة:

والشعر السنة تفضى الحياة بها
الى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة
خرساء ليس لها بالقول تبيان

أو حتى وهو يصف الاحجار تحت ضوء القمر فى اسوان مثلا ..

ولما راوها يشبه الخلق صنعها
تغالوا فقالوا الانس قد مسخت صخرا
لقد اكبروا الا على الله خلقها
فقالوا براها ، ثم اصمتها قهرا •

ذلك لان الجلال والجمال فى هذه النماذج وغيرها لايصح أن يوجه النظر اليها ، وانما يحس بها ، ننفعل بها ليتردد صدى معانيها فى

جتباتنا • ولن يتحقق هذا الا اذا كانت درجة استيعابنا من الرحابة لتسمح باكمال عمليـــة النقـــد .. حتى لاتقتصر على جانب ايديولوجى أو آخر تأثرى .. وهاهو ذا أستاذنا الدكتور يضيء لنا الطريق الى شعر عبد الرحمن شكرى وشاعريته .. وذلك فى دراسة نقدية منصفة .. تبرز لنـا عناصر الجمال لا القبح مع غوص وراء المصـــادر والاهداف .. فعرفنا أنه قد جمع بين الفـــكر والعاطفة الشاكية للذين اقتسمهما كل من العقاد والمازنى .. فاصبح شعره معروفا بالتـــأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى .. لكنه استبطان مشوب بتشاؤم ممض يرده المؤلف الى مالاقاه من عنت واضطهاد ، وما قوبل به من جحود ونكران، ونتيجة يأس من تغلب الخـــير على الشر لدى النـــاس .. والواقع أن اعترافات عبد الرحمن شكرى التى بنى عليها الدكتور مندور نظريته هذه لاتكفى لسبرغور هذا الشاعر .. لأننـــا نعرف أنه كان يعيش معيشة رغدة ، وكان يتمتع بشخصية قوية الارادة تدفع به الى تحقيق آماله العراض .. لكنه لايغتر بالنجاح بل يسخر منه ويقول محدثنا اياه

انت سحر يكسو القبيح جمـــالا
وينيـــل الوضـــيع أفق العـــلاء
وينيـــل القمىء اجنحـــة النسر
فيغـــدو لقومـــه كســـــماء

وانما الأرجح أن تشاؤمه راجع ـ كمـا يقول الأستاذ على ادهم ـ الى دخيلة نفسه هو .. لأنه « رجل متشائم بمزاجه لا بتفكيره ، ومرد النغمة الحزينة السارية فى اشعاره الى هـــذا المزاج المتشائم المتطير » • فهاهو ذا يقول واليأس يطغى على نفسه ..

كم قد اسفت على الدنيا وباطلهـــا
فما أسفت على شيء ســوى الأسف
وكم سخرت من الأقدار فى صلف
فما ندمت على شيء سوى الصلف•

ثم يشير فى آخر الكتاب الى جماعة أبوللو اشارة عابرة لايتسع لها مجال الكتاب .. لكنه انبأنا بانها مدرسة تعتبر امتدادا للشاعر خليل مطران .. خاصة وان مؤسسها أحمـــد زكى ابو شادى كان من المنتمين الى موضوعيته فى الشعر •

وعند هذا الحد ينتهى الكتاب بعد أن شحن اذهاننا بهذه القضايا الفكرية .. ليحيلنا الى اصول هذه الأشعار ودواوينها .. لا كقراء وانما كذواقة .. نتلذذ بهذا ونأنف من ذاك ، دون أن نشيح الطرف عنه ، بل نزيح الغشاوة من فوقه.. ويكفى الكتاب ومؤلفه فخرا بهذا •

جمال بدران

سطور من كتاب ....

«أبا الرحمات ، لم ايقظتنى من الأرض الصامتة وحكمت علىّ بلعنة الميلاد ؟
لم انتزعتنى من السكون ، واختطفتنى من الظلام، وخلقت من نورك عطيه جحودا ؟
لم دفعت الى الوجود كائنـــا هو نقيضـــك ،ونفخت الشقاء فى قطعة من الثرى ؟ »

.... **الوالد والولد**

نظرة فى إعادة كتابة تاريخنا القومى

١ ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (الجزء الأول) .
تحقيق وتقديم : الدكتور محمد انيس .
القاهرة . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ ــ ٣٢٢ صفحة .

●

٢ ــ ثورة شعب .
تاليف : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .
القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٤ ــ ٣١٤ صفحة .

٣ ــ لطفى السيد والشخصية المصرية .
تاليف : الدكتور حسين فوزى النجار .
القاهرة . مكتبة القاهرة الحديثة ــ ١٩٦٣ ــ ١٥٩ صفحة .

●

٤ ــ حديث الأجيال .
تاليف : محمد على غريب . تقديم : الدكتور عبد اللطيف حمزة .
القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣ ــ ١٢٩ صفحة .

من الشواهد الحسنة التى تدل على نضج الوعى الوطنى لدى الجيل الحاضر ، ما جرى فى الآونة الأخيرة من اهتمام بدراسة تاريخ الحركة الوطنية ، ومراحلها التى توالت خلال القرن الذى مضى والقرن الذى نعيش فيه . ولقد مرت دراسة التاريخ المعاصر بمراحل صعبة ، وذلك نتيجة لعوامل عديدة . اهمها :

اولا : ما جرى من زيف وتضليل على أيدى المؤرخين من علماء الاستشراق ودعاة الفكرة الاستعمارية ، وبخاصة ابان عصر الاحتلال .

وثانيا : ما قامت به السراى وبخاصة فى عهد الملك فؤاد من شراء ذمم بعض المؤرخين والعلماء من المصريين والأجانب .

وثالثها : يتصل بالعاملين السابقين ، وهو تارجح المؤرخين من رواد المدرسة المصرية الحديثة بين الأحزاب السياسية ، على اختلاف ميولها ونزعاتها ، والصلات التى تربط بعضا منهم بربلط وثيق ... ومريب بقصر عابدين وقصر الدوبارة .

بيد انه كان من النتائج التى ادت اليها الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩ ان بدا اهتمام الجيل الجديد من المثقفين وحملة الاقلام بدراسة التاريخ الحديث للشعب المصرى ، دراسة واعية تنم على شعور فياض بالوطنية ، وحرص على الأمانة الفكرية والولاء العظيم . ولكن هذه المدرسة الوطنية الواعية لم تكن لتتحرر تماما من رواسب الماضى ورواسبالسياسة الحزبية . ومع هذا فانها ادت واجبها بقدر ما تستطيع ، وكان هذا الدور من علامات الطريق فى دراسة نهضتنا الوطنية الحديثة .

هذه المدرسة التى نتحدث عنها ، تدين بوجودها الى ثلاثة من الرواد او اربعة ، وهم عبد الرحمن الرافعى ومحمد صبرى ومحمد شفيق غربال ... ثم محمود فؤاد شكرى .

وقد أتى بعد هذا الجيل جيل آخر من المؤرخين « استطاع ــ فى ظروف احسن ــ ان يكون ادق فى حكمه بالنسبة للجيل السابق عليه . ولكنه رغم هذا لم يسلم من الميول والأهواء ورواسب السياسة الحزبية القديمة . والاتجاه السائد لدى مؤرخى هذه المدرسة

ينحصر فى أمرين . الأول : دراسة تاريخ الحركة الوطنية من خلال تاريخ الأحزاب التى اسهمت فى هذه الحركة ، وتراوحها بين القوى السياسية المسيطرة فى هـذه المرحلة . والاتجاه الآخر : هو دراسة حركة المقاومة الشعبية والأجهزة السرية خارج نطاق الأحزاب .

على أن كلا الاتجاهين لا يستغنى عن اتجاهين آخرين هما من اللوازم الأساسية ، ونحن بصدد اعادة كتابة تاريخنا القومى . الأول : هو الاهتمام بالصحافة الوطنية التى نشأت فى بلادنا منذ عصر اسماعيل ، فلقد كانت هـذه الصحافة على اختلاف نزعاتها تعبر اصدق تعبير عن هـذه النزعات . فكانت كل من صحيفتى المقطم ومصر تعبران من وجهة النظر الاستعمارية وكانت اللواء والدستور تعبران عن وجهة النظر الوطنيـة فى اطـار العثمانية . وبين هذين الاتجاهين كانت تقف الاهرام التى كانت تميل — بحكم ان مؤسسيها من اهل الشـام — الى فرنسـا . وكانت المؤيد هى صحيفة القصر . فى حين كانت الجـريدة تعبر عن وجهـة نظر المثقفين وملاك الأراضى فى الفريق المعتدل .

والاتجاه الآخر : وهو يختص بتـاريخ الحركة الوطنية فى اعقاب الحرب العظمى الأولى ، فالى جانب دراسة اتجاهات الأحزاب السياسية منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، يجب أن ننتبه الى ظاهرة هامة جدا ، وهى دراسة تاريخ الحركة الوطنية عن طريق الشخصيات التى كان لها دور هام فى هـذه الفترة . لأن الأحزاب السياسية ليست مقياسا يسلم من النقد . وذلك لسببين . الأول : وهو التلون الذى أصاب بعض هـذه الشخصيات فى الظروف المختلفـة ، فصدقى باشـا كان فى اول امره من المؤسسين للوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول ، من اجل الحصول على استقلال مصر استقلالا تاما ، وكان احد اربعـة ذهبوا الى المنفى فى مارس سنة ١٩١٩ ، ولكن لم يلبث أن خـرج على الوفد فى خلال هذا العام ، ثم انضم الى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة عدلى يكن ، ولكنه لم يلبث ان اسس حزب الشعب الذى خرج به على اجماع الأمة ، وكانت فترة حـكمه الأولى ١٩٣٠ — ١٩٣٣ هى العهـد الأسود للدستور وللحياة النيابية فى مصر .

الى جانب هذا الفريق ، يوجد فريق آخر تلاءم مع الظروف وان لم يصبغ التلون الدفين . هذا الفريق يمثله بوضوح احمد لطفى السيد ، فقد كان من زعماء الفريق المعتدل قبيل الحرب العالمية الاولى ، ثم انضم الى المتطرفين بعد الحرب ، وشارك مشـاركة فعالة فى النضال الوطنى الـذى انتهى بتصريح ٢٨ فبـراير . ثم خرج على الوفد ، ولكنه لم يشارك فى الاحزاب السياسية التى توالت بعد التصريح ، وكان فى الفترة السـابقة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من المعارضين لمعاهدة قصر الزعفران ١٩٣٦ ، ثم اتفاق صدقى — بيفن ١٩٤٦ .

ومن هنـا تبدو اهمية كتاب فقيدنا العظيم عباس محمود العقاد عن الزعيم الخالد « سعد زغلول » ، وكتاب الدكتور حسين فوزى النجار عن « لطفى السـيد والشخصية المصرية » . هذا الكتاب الذى نحن بصدده الآن .

وبالمثل فانه من الصعب جدا ان نحكم حكما مطلقا على حزب من الأحزاب ، وهـكذا يبدو الخطأ الذى وقع فيـه صاحب كتاب « حديث الأجيال » . فانه افترض ان حزبا مثل الحزب الوطنى ، هو الذى كان يمثل الوطنية الصادقة ، لا لشىء الا لأنه سار على هدى مبادىء الزعيم مصطفى كامل . لأن الحقيقة ان زعامة الحزب الوطنى للحركة الوطنية فى مصر قد انتهت على حسب ما يبدو من كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى — وهو احد كتاب هذا الحزب ومن قادته المعروفين — انتهى هذا الدور عند الشرارة الأولى للثورة المصرية ١٩١٩ . بل ان هناك نقطة هامة اغفلهـا كثير ممن أرخوا للحركة الوطنية وللأحزاب التى خرجت منها . هذه النقطة هى أن الأحقـاد الشخصية ثم الحزازات الحزبية قد غيرت موقف رجال هذا الحزب بعد الثورة ، لأنهم وجدوا ان الحركة الوطنية وتأييد جماهير الشعب اضـحى احتـكارا فى ايدى القيادة الوطنية الجديدة التى يمثلها حزب الوفد . ومن

هنا كانت بعض عناصر الحزب الوطنى ذات اتصال وثيق برجال القصر وبالأخص الأمير عمر طوسون ، حتى أن النيـة اتجهت وقتئذ الى تشكيل وفد آخر بنافس الوفد الذى اختارته الأمـة والجمعية التشريعية الممثلة لها . فكان هذا عاملا على تفتيت القاعدة الوطنية وانصراف الأذهان عن اهم قضايا الوطن .

ونحن لا ننحاز الى حزب من هذه الاحزاب انما الحقيقة ـ كل الحقيقة ـ ان الحزب الوطنى كان له دوره المشرف فى عهـد زعيميه الكبيرين مصطفى كامل ومحمد فريد ، وينتهى هـذا الدور باندلاع الثورة ووفاة محمـد فريد فى المنفى . اما حزب الوفـد فمن الممكن ان نعتبر دوره الوطنى العظيم قد انتهى فى كثرته بوفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ ، ثم تلاشى تماما هذا الدور سنة ١٩٤٢ .

وهـكذا تبـدو لنـا ثانية اهميـة دراسة الشـخصيات وتراجم العظماء ، الى جانب دراسة المصادر التاريخية الأخرى .

ويظهر شيء آخر من خـلال كتاب الأستاذ محمد على غريب ، هذا الشيء هو ان الأسلوب الصحفى قد يسيء ـ فى بعض الأحيـان ـ الى الحقائق التاريخية الصحيحة ، أو هو قد يأتى لنا ببعض القشور او يذكر اسماء الاشخاص فى خبط وخطـأ كبيرين ، فى حين ان الرجوع الى ابسط كتاب يتناول تاريخنا المصرى يغنينا عن هذه السقطات .

وعلى خلاف هذا الكتاب يبدو لنا « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » من احسن الكتب التى تناولت تاريخ الحركة الوطنية فى وقت من أحرج اوقاتهـا ؛ فالمعروف أن الدكتور محمـد انيس من الدارسين الذين توفروا منـذ بعيـد على دراسـة التاريخ المصرى ، وكان من اوائل من التفتوا الى اهمية الوثائق فى دراسة هذا التاريخ وفى العـام الماضى صـدر كتابه عن المراسلات بين مصطفى كامل وولاة الأمـور فى السراى .

اما الكتاب الذى نحن بصدده الآن فقد كان فى الأصل مقالات نشرها بجريدة الأهرام فى سنة ١٩٦٣ ، تناول فيهـا جانبا واسعا من هذه المراسلات التى دارت بين سعد زغلول رئيس الوفد وعبـد الرحمن فهمى سكرتير اللجنة المركزية للوفد .

والمفروض فى الكتاب ـ كما يبدو من عنوانه ـ أن يقتصر على المراسـلات بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى . ولكن الأستاذ المحقق لم يلبث ان قسم هـذه المراسلات الى مجموعات ثلاث . الأولى : وتضم خطـابات سعد زغلول الى اللجنة المركزية للوفد . والثانيـة : تضم تقارير عبـد الرحمن فهمى الى سعد زغلول . والثالثة : تضم خطابات لسعد زغلول وعلى ماهر ومحمد كامل سليم ، وخطابات واوراق اخرى . هذه المراسلات تمت فى غضون عام الثورة والعام الذى يليه .

وفى مقـدمة الكتاب تنـاول الأستاذ المحقق حيـاة عبـد الرحمن فهمى ، واوضح ظروف نشأته الوطنية ، والدور الكبير الذى قام به ابان الثورة المصرية والحركة العمالية ، ثم الظروف التى ادت الى انفصـاله عن الوفـد . وشرح ما استنبطه من خلال المراسلات ، وقد وفق فى هذا كله الى حد بعيد .

والدكتور محمد انيس اسـتطاع ان ينجح كاستاذ متخصص فى التاريخ الحديث ، فى حين ان الدكتور سـعيد عاشور يمثل وجهة نظر اخرى . وكتابه « ثورة شعب » مجهود طيب من استاذ غير متخصص ، والمهم فى هذا الكتاب انه يحوى دراسـة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تشغل الجانب الأكبر منه فتحدث عن اسباب الثورة ، والمقدمات التى ادت اليها ، ثم قيامها والأهداف الجليلة التى تحققت بفضلها . وهو يطالعنا لأول مرة بمعلومات طريفة واسرار لم نقف عليها فى بعض الكتب التى تناولت عهد الثورة .

غير ان الـكتاب من نواح عديدة يحمل طابع الذكريات ، وهو فى عرضـه لتاريخ الحـركة الوطنية ، قد ينحاز الى وجهة نظر معينة ، هى وجهـة نظر رجال الحزب الوطنى ، وان لم يكن بذلك الوضوح الذى يبدو من كتاب « حديث الاجيال » . وعدا هذا فان الكتاب مفيد ومناسب للقـارىء غير المتخصص وللجمهور على وجه عام .

واذا كنا لا نستطيع دراسة حركة الجامعة الاسلامية دون الرجوع الى جمال الدين الأفغاني ، كما انه لا يمكن دراسة حركة الجامعة العربية دون الرجوع الى عبد الرحمن الكواكبي ... وعزيز على المصري . فانه لا يمكن دراسة حركة الجامعة المصرية دون الرجوع الى احمد لطفي السيد ، ومن هنا يبدو اثر التراجم وعبقرية البطل في سرد احداث التاريخ .

ولطفي السيد من ابرز رجالات النهضة المصرية ، وابعدهم اثرا فيميادين الفكر والسياسة والأدب ، وليس بعجيب أن يكون من جملة الزعماء والعباقرة من رجال الاصلاح الذين ورد ذكرهم في الميثاق ، الى جانب سعد زغلول ومحمد عبده ومصطفى كامل وقاسم امين . ونحن منذ بعيد متشوقون الى أن نعرفحياة هذا الرجل ، ولست اعرف كتابا اختص بلطفي السيد ، الى جانب هذا الكتاب سوى كتاب الدكتور عبد اللطيف حمزة الذي الفه قبل عشر سنوات ضمن سلسلة « أدب المقالة الصحفية » .

هذا عامل هام . والعامل الآخر ان صاحب الكتاب كانت تربطه بأستاذ الجيل روابط عديدة من القرابة والتلمذة ، وهو الى جانب هذا توفر على دراسة السياسة وبيان العوامل الخفية والظاهرة — في تحركات التاريخ وتقلبات الأحوال والظروف ، وله كتاب جيد بعنوان « السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط » . وهو من الكتاب الذين عنوا بالاسلوب الجزل والعبارة المنيرة ، الى جانب الفكرة الواضحة والمعاني العميقة ، وهو عين اتجاه لطفي السيد .

والحديث عن الشخصية المصرية يشغل نصف صفحات الكتاب ، فهو يتناول هذه الشخصية بالتحليل والمناقشة ، ويستعرض لنا آراء لوبون وولز ورينان ، وكيف أن الشخصية المصرية لم تتغير خلال الأحقاب المتباعدة من التاريخ ، وان جرى لها تعديل في ظاهرها وفي صورتها العامة . هذه الشخصية ابرز سماتها وحدة الشعور وعمق الأصالة الدينية ، ولكن هذا الراي يؤدى بنا الى القول بثبات الميزات القومية national character وبقائها ، كما كان يرى لطفي السيد ، وقد وضحه الأستاذ العقاد في كتابه عن « سعد زغلول » . بيد أنه تبين بعد التطورات التى استجدت على العالم في السنوات الأخيرة وبعد التقدم العلمي الهائل ان الصفات القومية تتغير في الظاهر وفي المضمون معا ، رغم أن هذا التغير قد لا يكون ذا نسبة واحدة في جميع الاحوال .

اما حديث المؤلف عن لطفي السيد وموقفه من الشخصية المصرية ، فقد خرج علينا بالمعالم الرئيسية لهذا الموضوع ، ولكنه اغفل عدة امور هي جديرة بالتسجيل في كتاب يتحدث عن الشخصية المصرية وعن لطفي السيد . فنحن لا نعرف بالضبط ماذا كان موقف لطفي السيد من الحركة القومية العربية ، ومن التيارات الحديثة التي اتت بعد الحرب العالمية الأولى . والذي ندريه جميعا أن لطفي السيد لم يكن راضيا عن فكرة الجامعة الاسلامية ، الا اذا كان فيها الخير لمصر وجاراتها (١) . ويبدو انه كان ينظر الى الجامعة العربية نفس النظرة ، وقد كانت له مساجلات عدة مع فيلسوف القومية العربية ابي خلدون ساطع الحصري (٢) . ونحن اذا راجعنا نظرية لطفي السيد في الديموقراطية ، لعرفنا انه كان يسلم للكثرة بحقها اذا لم تكن في جانبه ، ولعل هذا كان السبب في خروجه على سعد زغلول (٣) ، ولعله كان ايضا سببا في رضائه عن فكرة الجامعة العربية في آخر الامر .

والمؤلف يشير الى دور طلعت حرب الكبير في استقلال الاقتصاد المصري ، حتى يكون ذلك وسيلة للاستقلال القومي الكامل . ولكنه لم ينتبه الى اهمية دور لطفي في هذه الناحية ، فقد ابرز — بتفكيره المنطقي السليم — ان « الاستعمار في نظر الدول المستعمرة على العموم وانكلترا على الخصوص غرضه الأول الكسب المالي » (٤) . ولهذا فهو قد دعا الى شراء اسهم من الدين المصري بالمال الاحتياطي وتأليف النقابات الزراعية ، وانشاء بنك زراعي اهلي .

وبعض المؤرخين — ومن بينهم الدكتور محمد انيس — يأخذون على لطفي السيد تغير موقفه بعد الثورة المصرية ١٩١٩ ، وقد كان واجبا على المؤلف ان يشرح لنا موقفه هذا ، ولماذا خرج على سعد زعيم الأمة ، وانضم الى عدلي رئيس الحكومة . الى جانب انه تحرك بعض الشيء عن آرائه المتحررة التي طالعنا بها على صفحات الجريدة في أوليات هذا القرن ... وماذا كان موقفه من الاشتراكية ؟؟ .

اما كتاب الأستاذ محمد على غريب ... فهو كتاب ذكريات ... ذكريات اب وابن ... ثم حفيد . عاصروا جميعا حقبة واسعة من تاريخنا الحديث تبدأ من تاريخ حفر قناة

---

(١) الجريدة : ٢ ديسمبر ١٩١٢ .

(٢) ابو خلدون ساطع الحصري : آراء واحاديث في القومية العربية ١٩٥١ .

(٣) العقاد : المجلة . عدد ٧٦ ابريل ١٩٦٣ .

(٤) الجريدة : ٢١ ديسمبر ١٩٠٩ .

السويس حتى بزوغ الفجر الجديد ... فجر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجلاء المستعمرين عن ارض الوطن . ولا ادرى ماذا يكون الحكم الصحيح على هذا الكتاب ، انه ليس تاريخا ولا قصة ولا ترجمة لواحد من المشاهير ، ولكنه انطباعات ثلاثة اجيال بين دفتي كتاب .

والكتاب كان فى الأصل « اضمامة من الأوراق » على حد قول الأستاذ المؤلف ، دفعها اليه صديق يعرفه منذ ربع قرن . وهذا الصديق – كما يبدو من صفحات الكتاب – هو الحفيد محمد عبد البديع السهلي ، مشبوب الوطنية ، ولكنه كان ينظر اليهما من وجهة نظر معينة ... وضيقة . وهذا سوف يطبع تلك الذكريات بطابع خاص ، قد يجعلنا نرمي الحفيد (الصديق) بانه انحرف بعض الشيء في حكمه على بعض رجالات العصر السابق للثورة المصرية ١٩٥٢ .

ومآخذنا على الكتاب تنحصر فى امرين . الأول : يتصل بالمؤلف . والآخر يتصل بالصديق الذي أوحى الى المؤلف بأن يسطر هذا الكتاب . فالمؤلف يحدثنا مرتين عن عبد العال فهمي بوصفه واحدا من زعماء الحركة الوطنية قبل الاحتلال ، الى جانب شريف باشا والبارودي وعرابي ، ونحن لا نعرف واحدا من زعمائنا الوطنيين بهذا الاسم . واحسب انه يقصد عبد العال حلمي او علي فهمي اللذين كانا يشكلان الى جانب احمد عرابي ثالوث الحركة الوطنية ١٨٨١ – ١٨٨٢ . وقد يرجع هذا الخلط الى الصديق صاحب الأضمامة ، ولكن كيف فات صوابه على الأستاذ محمد علي غريب ، وهو صحفي قديم ، وكان له نشاط ادبي وسياسي معروف ، والدكتور عبد اللطيف حمزة ، وهو أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة . وارى ان السبب فى هذا يرجع الى ان المؤلف لم يكن دقيقا فى كتابته ، لأن الكتاب لمحات من تاريخ مصر فى عهدها الماضي ، يجب أن تتناولها يد المؤلف بالحبك والتنسيق وبيان الصواب ، حتى تكون هذه اللمحات كتابا يخرج به على الناس .

ويبدو هذا ايضا فى حديث الجد عن « العريف » ، وهي تسمية حديثة لرتبة عسكرية لم نسمع بها فى القرن الماضي ... ومن الغريب ان المؤلف يجعل الرئيس الأمريكي ويلسون رئيسا لمؤتمر الصلح الذي انعقد فى باريس بعد الحرب العالمية الأولى ، على حين اننا من قراءة اى كتاب صغير تناول تاريخ هذه الفترة نعرف ان رئيس المؤتمر كان جورج كليمنصو نمر السياسة الفرنسية الشهير .

اما الصديق فنلمح فى روايته بعضا من التحامل (المرير) على نفر من زعماء الوطنية فى العهدالماضي ، نذكرهم دائما بالخير والاحسان . وهذا يبدو بوضوح فى حديث الابن عن الثورة المصرية ١٩١٩ ، فسعد زغلول فى نظره كان يقيم فى قصره المنيف «ويتمرغ على الحرير والدمقس ، وعلى مرمى بصره لا يرى سوى حديقة قصره الغناء ، تتناجى فوق غصونها المورقة الطيور باغاريدها الشجية لتحية صاحب هذا القصر السعيد » . وهو لم يكن لديه اى نبأ عن قيام الثورة فى مصر ، لم يكن يطيقها او يحبها ، وصحافته صحافة ماجنة . اما صحافة الحزب الوطني الذى تغير وتبدل بعد سنة ١٩١٩ ، وصار ذيلا من ذيول القصر واداة من ادواته ، فهى الغاية فى فن التحرير ... الوطني .

والذي اراه أن ذاكرة المؤلف ... او الصديق ضعيفة الى حد خطير ... لقد نسي أن سعد زغلول هو الذى ذهب الى دار الحماية يطلب الاستقلال ، ونفي مرتين وهو شيخ كبير ، اصطلحت عليه طائفة من الأمراض والعلل . ولم يتول الوزارة سوى مرة واحدة ، مكث خلالها شهورا قليلة ، وكان ذلك باجماع من الأمة ، وسقطت وزارته بسبب حادث السردار . وتقول الدراسات الحديثة أن هذا الحادث كان مدبرا من جهة المندوب السامي لاسقاط اول وزارة وطنية ، كانت موضع الرضاء الكامل من الشعب ورغما عن قصر عابدين وقصر الدوبارة . لقد نسي المؤلف كل هذا فى غمرة تحمسه لحزب بدأ وطنيا ، وانتهى نهاية لا تشرف ماضيه العظيم ... اذا كان المؤلف قد نسي كل هذا ، فانى أشير عليه بمراجعة الباب الثالث من الميثاق « وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة ، يقود النضال الشعبي العنيد ، الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة اكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم او ينهزم » .

... ورغم كل هذا فالكتاب مجهود طيب به لمحات ساذجة ولكنها ذكية ، فيما عدا هذه السقطات التى كان على المؤلف ان يرتفع عنها فى عصر نقوم فيه حركتنا الوطنية تقويما نزيها لا تعصب فيه ولا تجامل ولا انحراف .

عبادة كحيلة

تعريفات

استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام

تأليف : الدكتور على ابراهيم حسن .
مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣ — ٢٠٣ صفحات
قطع كبير .
ث ٣٠ قرشا .

من بين التطورات التي جدت في دراسة التاريخ الاسلامي الوسيط ما جرى في السنوات الأخيرة من اهتمام بدراسة الكتب القديمة والبحث في نشأة التدوين التاريخي عند العرب ومناهج البحث فيه وبيان الاتجاهات التي سار فيها هؤلاء المؤرخون على تباين نزعاتهم الدينية واهوائهم السياسية والشخصية وتراوح قدراتهم الذهنية في مجالات البحث والتفكير .

ومن هذه الكتب التي تمهد الطريق امام الدارسين كتاب الأستاذ على ادهم بعنوان « بعض مؤرخي الاسلام » وكتاب الدكتور حسين نصار بعنوان « نشأة التدوين التاريخي عند العرب » ثم الكتاب الذي نحن بصدده الآن .

والأستاذ المؤلف له عهد طويل بدراسة التاريخ الاسلامي وله كتب كما ان له ابحاثا متعددة فيه .

يبدأ الكتاب بمقدمة يسيرة في التاريخ الاسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط ثم يستطرد بنا فيتحدث عن طرق البحث في هذا التاريخ وتناول المصادر الأساسية التي يعول عليها مثل أوراق البردي والكتابات الأثرية الى جانب كتب التاريخ والجغرافية والادب .

ووجه الفائدة من الكتاب يرجع الى انه من الكتب القليلة في موضوعها هذا الى ان المؤلف قد عرض لنا عرضا طيبا المصادر الهامة في دراسة التاريخ الاسلامي . بيد انه لم يتعرض لهذه الكتب بالنقد والتحليل ومعرفة الاتجاهات السياسية والدينية لهؤلاء المؤرخين ، والأهواء التي قد تنحرف بهم عن الأمانة المطلوبة حتى يكون هذا عونا للباحث الجاد .

والمؤلف في عرضه لكتاب الأغاني — وهو أكبر موسوعة ادبية وتاريخية في الاسلام — يذكر أن جمال الدين بن منظور — صاحب لسان العرب — قد اختصر هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات كبيرة الموجود منها الثاني فقط وهو مخطوط بدار الكتب وقد كان أجدر بالمؤلف أن يذكر ان هذا الكتاب سبق له أن طبع قبل ثلاثين عاما وذلك في المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة وهي طبعة جيدة كان يجب أن تسجل في كتاب يبحث في مصادر التاريخ الاسلامي .

والى جانب هذا توجد بالكتاب (كلمات اعوزتها الدقة في الترجمة) مثل تعريب المؤلف لموسوعة فان برشم المعروفة corpus Inscriptionum Arabicarum صح أن نقول « جامع او موسوعة النقوش العربية » وليس « جامع الكتابات التاريخية » ، كما يتضح من الكتاب . وهو يطلق على كتب التاريخ التي تناولته سنة فسنة اسم السنويات على حين أن الاسم الشائع والمتداول لدى المؤرخين هو الحوليات .

الى جانب هذا فان المؤلف في الباب الخاص بمصادر الاقدمين المخطوطة والمنشورة لم يأبث أن عرض لكتب كاترمير ونيكلسون وفييت وميور وارنولد وحسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن وغيرهم . وكم كنا نود أن يورد المؤلف ثبتا يكون أوسع بالنسبة للمؤرخين الأجانب والعرب على السواء .

ملامح الحضارة العربية الإسلامية

بقلم : فرنشيسكو جبريلي

ترجمة : محمد حسن خلاف

القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣

الاستاذ جبرالي مستشرق ايطالي كبير له دراسات وابحاث مستفيضة عن الحضارة الاسلامية ، وهو في هذا الكتاب يتخذ نهج برنارد لويس في كتابه المعروف « العرب في التاريخ » . فعرض لعصر ما قبل الاسلام ، ثم تتبع تاريخ العرب خلال العصور الاسلامية حتى العصر الحديث في اسلوب سهل ميسر .

غير أن في الكتاب من نقاط الضعف ما يرجع الى المترجم وقد يرجع الى المؤلف ، فالترجمة في بعض اجزائها سقيمة كأن يقول المترجم « ولكن قوة العنصر التركي ظهرت واضحة عن طريق الجنود المرتزقة من الأتراك الذين كانوا حراسا للخليفة ، واحتلوا مكان الفرس ؛ وفي سنة ٨٦١ قتل المتوكل عن طريقهم » . ومن الأخطاء الأخرى انه ترجم Brussa — وهي مدينة كانت تتبع الدولة العثمانية ويسميها الأتراك بورصة — ترجمها على انها بروسيا وهذا خطأ شنيع . وكذلك حين يقول « بربر المغول » في حين ان الترجمة الامينة لها المتوحشون أو الهمج . وكلامه عن معركة انقرة سنة ١٤٠٢ يبدو منه ان العثمانيين انتصروا فيها على البيزنطيين ، والحقيقة أن العثمانيين منوا فيها بالهزيمة على يد تيمورلنك الفاتح المغولي الكبير .

هذا .. ومن بين الأغلاط التاريخية الأخرى التي تنسب الى المؤلف « او قد ترجع — كما اسلفنا — الى عدم دقة الترجمة ما يأتي » وفي خلال القرون الخمسة الاولى التي عاشتها الخلافة العباسية ، نجد أن هذه الفترة هي العصر الذهبي للحضارة والثقافة الاسلامية التي تتفق خطوطها مع الازدهار السياسي للعروبة والخلافة وخاصة في العصر العباسي » .

... ولم يقل احد ان العرب كان لهم التفوق السياسي خلال عصور الخلافة العباسية ولربما كان لهم هذا التفوق بالنسبة لعصرها الأول الى جانب الفرس ، ولكنه لم يكن كذلك في جميع عصورها .

ومن الأغلاط الأخرى ما كتبه المؤلف « وقامت الحرب الصليبية الثالثة فوقعت اذ ذاك أقوى معارك الكفاح ، فقد واجه بطل الاسلام والمسلمين صلاح الدين القوى الأوربية كلها ، وعلى راسهم ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب اغسطس ملك فرنسا ، فضلا عن ملوك الصليبيين انفسهم ، واستطاع صلاح الدين البطل أن ينتصر عليهم في موقعة حطين » . والحقيقة ان موقعة حطين لم تات خلال الحملة الصليبية الثالثة او بعدها ، وانما أتت قبلها وبالتحديد في سنة ١١٨٧ ، على حين أن الحملة لم تبدأ الا في سنة ١١٨٩ .

واخيرا .. فان الكتاب يبدو من عنوانه انه يتناول الحضارة العربية الاسلامية ، ولكن المؤلف لم يلبث أن جعل جل همه في التاريخ السياسي ، واغفل اغفالا يكاد يكون تاما الحضارة الاسلاميه ، ومهما يكن من امر فالكتاب مجهود طيب لمؤلفه ، وكان أجدر أن يترجم ترجمة أمينة دقيقة لا يسودها طابع العجلة والارتجال .

سويسرا .. شعبها وأرضها

ترجمة : كمال الملاخ

تأليف : ليليان براجدون

تقديم : الدكتور عز الدين فريد

الناشر : دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين — ١٩٦٤ — ١٥٥ صفحة .

هذا عمل علمي وادبي ممتاز من ابداع كاتبة سويسرية الأصل امريكية الموطن والنشأة .

تناولت فيه بأسلوب شائق سويسرا ــ شعبها وارضها ــ وسرحت بنا عبر التاريخ تستمد لمعا من اخبار هذا البلد العريق فى الحرية والديمقراطية .. والجمال . ولا تشعر وأنت تقرأ هذا الكتاب أنه غريب عن الذوق العربى وديباجته الأدبية ، وذلك بفضل المجهود الطيب الذى بذله الأستاذ كمال الملاخ ، وبفضل المقدمة الحسنة للدكتور عز الدين فريد .

والكتاب ليس مجرد لمحات خاطفة يطغى عليها الأسلوب الصحفى المرح ، كمهدنا بكتب جون جنتر وانيس منصور ، وانما هو وسط بين هذا وبين كتب الرحالة العربى الكبير محمد ثابت • فهو دراسة علمية ادبية تاريخيه تنتقل بك فى رحلة عبر الزمان والمكان الى حيث الوداعة والطمانينة والجمال •

وسويسرة ــ كما يتضح من الكتاب ــ جمهورية تتالف من اثنين وعشرين مقاطعة Canton ، لكل منها استقلالها الذاتى الذى يماثل من نواح عديدة الاستقلال الذى تتمتع به كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية ، فى حين أن مساحة سويسرة بأكملها اقل بكثير من مساحة بعض ولايات امريكا . والأغرب من هذا انه طالما نشبت حروب عديدة بين هذه المقاطعات وبعضها البعض » ولكن هذا ــ عندما يحدث ــ كان يتخذ طابعا محليا داخليا كالخلاف الذى قد ينشا بين افراد الأسرة الواحدة ، أو بين الأخ واخيه ، فاذا ما لاح عدو مشترك دفنت الأحقاد واجتمعت الكلمة ، وهب الجميع كرجل واحد فى وجه الخطر الذى يتهددهم . فلا مجال لخائن أو عميل ، ولا هدف سوى المحافظة على الحرية والاستقلال » .

ومن الغريب ايضا أن كثرة اهل سويسرة ــ ويسكنون ست عشرة مقاطعة ــ يرجعون فى اصلهم الى الشعب الألمانى . ومع هذا فانهم عاشوا مع اخوانهم من الذين يتكلمون الفرنسية او الايطالية فى دعة ومحبة وتواد ، على الرغم من العداء الذى استمر أحقابا عديدة بين اللاتين والجرمان ، وعلى الرغم من انقسام شعبها بين كنيسة روما وكنيسة أهل الشمال .

وثمة صفة اساسية يتسم بها السويسريون ، وتميزهم عن شعوب العالم كافة ، وهى ميلهم الى السلام ومحافظتهم عليه ما استطاعوا . ومن أجل هذا كان حياد سويسرة امرا معترفا به منذ سنة ١٨١٥ ، كما ان دستورها من اقدم دساتير اوربا ولم يحصل له تعديل منذ سنة ١٨٧٤ . ولم تشارك سويسرة فى اى تكتلات سياسية ، أو أحلاف عسكرية قد تحيد بها عن طريق السلام . وهى لم تشارك أيضا ــ وهى مصنع السلام ــ فى هيئة الأمم المتحدة ، حتى لا تزج بنفسها فى خضم السياسة الدولية ومشاكلها المعقدة . وان لم يمنعها ذلك من ان تكون عضوا فى المنظمات ذات الصفة الانسانية والتى تتبع الهيئة ، مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسكو .

بيد انه ليس بغريب ان تسود الروح العسكرية بين السويسريين ، فالمواطن مستعد دائما لأداء واجبه الوطنى حتى سن الستين ، ولا شك ان تلك الروح العظيمة موجودة لدى السويسريين منذ وليم تل بطل ملحمة شيلر الشهير . ويحكى أن هتلر ــ عندما كان فى أوج سطوته وغروره ــ فكر فى أن يجتاح بجنود العاصفة تلك البلاد المنيعة ، ولكنه عدل عن ذلك حتى لا يفقد نصف مليون من خيرة جنوده فى مغامرة غير مامونة العواقب .

ومن قديم كانت سويسرة ملجا وملاذا للأحرار من كل مكان ففى جنيف ولد الفيلسوف الانسان جان جاك روسو الذى دعا الى الحرية والاخاء والمساواة ، قبل أن تصبح تلك المبادىء حقيقة واقعة فى حروب الثورة الفرنسية . كما ان دعاة الاصلاح الدينى ــ مثل ارازموس وكلفن وتسفنجلى ــ وجدوا فيها المعقل الأمين والاتباع المخلصين . وقد ساعد كل هذا على ارتقاء البلاد فى مناحى العلم والمعرفة ، وليس ادل على ذلك من أن الفضل فى ازدهار صناعة الساعات

فى سويسرة يرجع الى الهجونوت الفرنسيين الذين هاجروا الى هناك فى عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا .

والسويسريون قوم حريصون على المبادىء ، لا يتخلون عنها رغما عن العواصف والأنواء ، وقد هلك الحرس السويسرى وهو يدافع عن لويس السادس عشر بازاء الرعاع والغوغاء من اهل باريس ، ولهذا كان السويسريون هم الجنود الاثيرون لدى بابوات روما حتى وقتنا هذا .

وهم ايضا قوم عاطفيون بطبيعتهم وتشملهم روح المحبة للشعوب كافة وعلى هذا كان جان هنرى رونانت هو صاحب فكرة الصليب الأحمر بعد ما رأى من فظائع حرب التحرير الايطالية ، وبفضله انعقد اول مؤتمر دولى للصليب الأحمر فى جنيف سنة ١٨٦٤ ، ولا تزال هذه المدينة مستقره الدائم حتى اليوم ، الى جانب كونها مستقرا للهيئات والمؤتمرات الدولية التى تعنى بشئون السلام ، وبخاصة عصبة الأمم التى انهارت فى مستهل الحرب العالمية الأخيرة .

جملة القول ان هذا كتاب ممتاز ، يضم بين دفتيه ما يجب أن يعرفه القارىء عن سويسرة – جنة أوربا – وقد وفقت الكاتبه حين طعمت الكتاب بزبدة من الصور البديعة هى ترجمان صادق لسويسرا وتعبير امين عنها .

فلسطين والضمير الإنسانى

بقلم : محمد على علوبة
تقديم : طاهر الطناحى
القاهرة : دار الهلال ١٩٦٤ – ٢٢٥ صفحة – ١٠ قروش .

الأستاذ محمد على علوبة واحد من رجالات الحركة الوطنية فى مصر منذ ان بدات فى اوليات هذا القرن ، فقد كان أحد أعمدة الحزب الوطنى ابان زعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، ثم شارك فى الوفد المصرى الذى شكل بزعامة سعد زغلول من اجل الحصول على استقلال مصر استقلالا تاما . وبعد ذلك انضم الى حزب الأحرار الدستوريين فى جملة اعضاء الوفد الذين خرجوا على زعيمه . وآثر اخيرا ان يستقل عن الاحزاب السياسية وتشعب اهوائها ومسالكها حتى توفاه الله فى سنة ١٩٥٦ .

وعلى هذا فقد كان الأستاذ محمد على علوبه رائدا من رواد الاصلاح والمطالبة بالاستقلال .. ولكن الغريب فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده ان الأستاذ المؤلف كان فى طليعة المصريين الذين انتبهوا الى عروبة مصر فى عصر كان الشغل الشاغل للساسة هو العلاقة بين مصر والدولة المستعمرة الغاصبة . وفى سنة ١٩٣٠ كان الأستاذ علوبة احد من اسهموا فى الدفاع عن العرب فى قضية حائط البراق المشهورة حتى كلل مسعاه بالنجاح .

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قبل وفاة الأستاذ المؤلف وحاز الرضا من السيد رئيس الجمهورية وكم كان توفيقا من دار الهلال ان تتولى اعادة طبع الكتاب فى ظروف نحن أحوج فيها الى ان نعرف كل شىء عن القضية الفلسطينية .

ويبدا المؤلف كتابه بالحديث عن تاريخ اليهود فى فلسطين ويفند حقوقهم المزيفة فى ارض الميعاد . ومأساة فلسطين وكيف بدات . وخرافة الشعب المختار واساليبه فى استدرار دموع العالم وأطماع الصهيونية التوسعية من الفرات الى النيل .

وفى الكتاب بعض الحقائق التى لا يزال يجهلها كثير من المثقفين من العرب والأجانب ، اظهرها المحاولات التى بذلها اليهود منذ بعيد لافساد الاسلام والمسيحية على السواء فى شكل الماسونية والدعوات الشيوعية وأندية الروتارى

كما تحدث المؤلف عن الموقف الذى اتخذته الدول الكبرى من المسألة الفلسطينية ، وعن تنكر هذه الدول للوعود التى بذلتها للعرب والمثلة فى مراسلات الحسين - مكماهون . وعن وعد بلفور الذى حاز الرضاء الكامل من الرئيس ويلسون صاحب النقاط الاربع عشرة المعروفة والتى تنكر هو نفسه لها . كما لم يغفل المؤلف أن يتناول بالتحليل أسباب النكبة ومنها الموقف الذى اتخذته بعض الحكومات العربية من القضية الفلسطينية وكان مغايرا لآمال شعوب هذه الحكومات .

وفى الاجزاء الاخيرة من الكتاب يتكلم المؤلف عن الوسائل الناجعة لمواجهة اسرائيل ، وعنده أن الحصار الاقتصادى هو اهم وسيلة يجب ان تتخذها الحكومات العربية فى هذا الصدد . لأن الأساس فى وجود اسرائيل هو المعونات التى تحصل عليها من الدول الغربية ، والعلاقات الاقتصادية التى تربطها بالبلاد الأخرى .

والكتاب - الى هذا - يحوى بحثا عن الديموقراطية والاسلام استطاع فيه المؤلف ان يبرهن على ان مبادىء الحرية والمثل الديموقراطية ذات جذور عريقة لدى العرب والمسلمين .

جوائز الأدب العالمية
(مثل من جائزة نوبل)

تاليف : عباس محمود العقاد

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - ١٩٦٤ - عدد الصفحات - ١٢٨ .

من أبرز الجوائز العالمية التى تمنح بين حين وحين للصفوة من الأدباء والعلماء ، ودعاة السلام من الساسة والزعماء ، تلك الجائزة التى هى موضوع الكتاب الأخير للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .

والحديث عن جائزة نوبل حديث طويل ، يؤدينا الى الخوض فى مدى احقية كل كاتب وزعيم نال هذه الجائزة لهذه الجائزة ، مع الاشارة الى هؤلاء الذين يرتفعون عن المستوى العام لها ولم ينالوها معجدارتهم واستحقاقهم .

وابرز ما فى هذا الكتاب الصغير أمران . الأول : ان صاحبه اديب عربى كبير ومفكر عملاق ، اجدر بالجائزة التي تحدث عنها من آخرين غيره لم يصلوا الى درجة من العظمه التى ارتفع هو اليها . والثانى : ان الكتاب بعض من حصيلة اطلاع الأستاذ العقاد على عيون الأدب الغربى وفحول الشعراء والمفكرين الذين عظم شانهم وطار ذكرهم ، فتهيأ له ان يحكم الحكم الصائب عن جدارة من استحقوا الجائزة ، ومن كانوا اهلا لها ولم تكن من نصيبهم .

وقد تضمن راى الأستاذ العقاد فى جائزة نوبل فى الفقرة الآتية « ان لجنة نوبل ليست بالمعصومة من عوارض المحاباة والخطا ، ولا من النقص فى معايير النقد والتمييز ، ولكنه حكم لا تنفرد به اللجنة السويدية وحدها ولا تسلم منه ، على عمومه جماعة من بنى الانسان فى كل زمان ومكان » . وقد شرح الأستاذ العقاد هذا فى الفصل الأخير من الكتاب ، ورده الى عوامل عدة . أولها : ان لجنة الجائزة تنظر فى أعمال المؤلفين خلال سنوات متوالية فى أمم مختلفة ، وقد يستحقها فى هذه السنة من هو اقل استحقاقا لها قبل عشر سنوات . والثانى : لأن المحكمين يتغيرون وتتغير الأذواق والمقاييس معهم بين حقبة وحقبة وبين مدرسة ومدرسة من مدارس النقد والتفكير . والثالث : لأن اللجنة مضطرة الى اجتناب الشبهات والحذر من تمييز أمة واحدة بين الأمم بنصيب من الجوائز ، يزيد على نصيب غيرها عند المقارنة العامة . والرابع : ما يعرض من أزمات سياسية وحروب ، فلا يسع اللجنة الأدبية أن تحكم لأديب مستحق للجائزة ،

يعتبر الحكم له حكما لامته أو لقضيـــية بلده فى معركة الخصومات الدولية . والخامس : وهو يهمنا نحن العرب ويختص بغلبة النفوذ اليهودى على معاملات السويد الدولية ، لأنها أمة كثيرة العلاقات بالتجارة الخارجية ، ومبادلات العملة على الخصوص .

بيد ان من أسباب التفاوت فى التقدير ما يتصل بالتغـــير الذى طرا على المثل الأعلى فى القرن العشرين ، وتضاؤل النظرة الدينية اليه ؛ بعد أن هبـــط السوبرمان الـــذى نادى به نيتشه من الآفاق العلوية حيث كان يعيش ، وغلبت عقيدة الواقع المـــادى على نفوس النـــاس « ثم أصبح قصارى الأمل فى مصير الانسان أن يروض نفســه على مواجهة اليأس والتسليم بضرورة الوجود : تسليم قوامه الضرورة المقضية ، ولا قوام له من الرجاء فيما وراء العيان ، ولا فى نحـلة البطولة أو نحلة السوبرمان ... وكان آخر ذوى الأفكار من مستحقى الجائزة اديبا يتكلم بلغة الفلسفة ، كانه السياسى الذى يتكلم بلغة « الدبلوماسية » حـــين يقـــول « اذا لم يـكن ما تريـــد فارد ما يكون » ... وهـــكذا انتهى المطاف برسالة نوبل فى طلاب المثل الأعلى ، ولا نخاله مرتفعا الى قمة تعلو على هـــذه القمة » الى مدى سنوات مقبلات » .

وحديث الأستاذ العقـــاد عن المثـــل الأعلى يضطرنا الى الحديث عن مدى الثبات من ناحية ودرجة التغير التى تطرأ عليه بين حين وحين من ناحية أخرى . والذى أعتقده أن المثل الأعلى قضـية تشـــبه من نواح متعددة قضية المميزات القوميـــة فى الامم National character، فموقف الأستاذ العقاد من المثل الأعلى واضح فى هـــذا الكتاب . وموقفه من المميزات القومية ردده فى بعض كتبه وأحاديثه ، وبخاصـة فى كتابه الضخم عن الزعيم الخالد « سعد زغلول » . وهو يرى أن المميزات القومية ثابتة وجـوهرها لا يتغير ، والواقع أننـــا اذا سلمنا بهذا المفهوم ، فان المثل الاعلى يكون أكثر ثبوتا من المميزات القومية على خلاف ما يظهر من كتاب العقاد الاخير .

... والكتاب ـــ عدا هـــذا ـــ عمل ممتاز لعملاق الفـكر العربى ، يتناول فيه جائزة نوبل وسيرة صـــاحبها الذى كان يملك مصانع تنتج أسلحة الحرب والدمار ، ثم آمن بالسلام وعمل على ان يســـود بين بنى الانســـان على اختلاف شعوبهم وأوطانهم ؛ فاشتملت وصـــيته على خمســـــــة انواع من الجوائز وهى جائزة علم الطبيعة ، وجائزة علم الكيمياء ، وجائزة الطب والتشريح ، وجائزة السلام ، وجائزة الأدب . والجائزة الأخيرة هى موضـــــوع كتاب الأستاذ العقاد الذى كان فى الأصل مجموعة من الاحاديث الأذاعية للكاتب الكبير ، تفضل فطلع بها علينا فى هذا الكتاب . ومن هذا يبدو أن الكتب الأخيرة التى صدرت للأستاذ العقاد تحمل طابع الخبرة الشـــــخصية مثل رجال عرفتهـــم واليوميات وجوائز الأدب العالمية . وهـــذا لا يكون الا من اديب كبير ملأ الأدب العربى علما فاراد أن يملأه ثقافة ... وقد كان .

كتب وردت للمجلة

١ ـ **ثورة شعب**
تاليف د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربيه ، ٣١٤ ص ، ١٧×٢٤ سم
ث ٦٠ قرشا

٢ ـ **مبادىء النقد الأدبى**
تاليف ١٠١٠ رتشاردز ، ترجمة د. مصطفى بدوى ، مراجعه د. لويس عوض ، المؤسسة المصريه العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، ٢٧٨ ص ، ١٧×٢٤ سم .
ث ٤٢ قرشا

٣ ـ **دراسات فى النفس الانسانية**
تاليف محمد قطب ، دار القلم ، ٣٨٤ ص ، ١٧×٢٤ سم .
ث ٥٠ قرشا

٤ ـ **لك أغنى**
نظم محمد حليم حامد غالى ، تقديم ومراجعة صالح جودت ، دار الكرنك بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ١١٠ ص ، ١٣٫٥×٢٠ سم
ث ١١٫٥ قرشا

٥ ـ **النظرة العلمية**
تاليف برتراندرسل ، تعريب عثمان نويه، مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن، مكتبه الانجلو المصرية بالاشتراك مع الادارة الثقافية بالجامعة العربيـة ، ٢٥٨ ص ، ١٤×١٩ سم

٦ ـ **الانسان والاخلاق والمجتمع**
تاليف جون كارل فلوجل ، ترجمة عثمان نويه ، مراجعـة الدكتور عبد العزيز القوصى ، دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الالف كتـاب ، ٢١١ ص ، ١٤×١٩ سم

٧ ـ **السلام العالمى فى العصر الذرى**
تاليف برتراندراسل وآخرين ، ترجمـة ومراجعة دكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن وعثمان نويه ، دار النشر المتحدة بالاشتراك مع مشروع الالف كتـاب ، ٢١٧ ص ١٤×١٩ سم
ث ٢١ قرشا

٨ ـ **قضايا اندلسية**
تاليف الدكتور بدير متـولى حميد ، دار المعرفة ، ٤٢٥ ص ١٤٫٥×٢٢ سم

٩ ـ **تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق**
تاليف الدكتـور عبد المنعم عبد العزيز المليجى ، تقديم الدكتور مصطفى زيور ، دار المعارف بمصر (منشورات جماعة علم النفس التكاملى) ٣٣٥ ص ١٦×٢٣ سم

١٠ ـ **اسس الخدمة الاجتماعية**
تاليف اليزابيث نيكولدز ، ترجمة أحمد عبد الرحمن حمودة ، دار المعرفة ، ٢٧٥ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٥ قرشا

١١ ـ **العلم والديمقراطية والاسلام**
تاليف همايون كبير ، ترجمة عثمان نويه ، مراجعة محمد مصطفى حلمى ، دار الهلال بالاشتراك مع الادارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والارشـاد القومى ، ١٥٨ ص ١٧×٢٤ سم

١٢ ـ **المجتمعات البشرية**
تاليف هارولد باستن ، ترجمة الدكتور محيى محمد ابراهيم ، مراجعة الدكتور محمود حافظ ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الالف كتـاب ، ٢٢١ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٨٫٥ قرشا

١٣ ـ **الجنة العذراء**
تاليف محمد عبد الحليم عبد الله ، مكتبة مصر ، ٢٢٢ ص ١٢٫٥×١٩ سم

١٤ ــ النظرية الاقتصادية والدول النامية

تاليف جنار ميردال ، ترجمة ابراهيم الشيخ، مراجعة حسين الحوت ، الدار القومية للطباعة والنشر (سلسلة اخترنالك)١٣١ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٠ قروش

١٥ ــ مرآة الاسلام

تاليف الدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ٣١١ ص ١٤×١٩ سم

١٦ ــ تاريخ الادب الرومانى

تاليف الدكتور أحمد عبد الرحيم أبوزيد، دار النهضة العربية ، ٢٥٦ ص ١٣٫٥×١٩ سم

١٧ ــ نحو تكافؤ الفرص فى التربية

تاليف بيرجوفيتى ، ترجمة محمد ابراهيم زكى ، مراجعة دكتور سلامه حماد ، دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ١٣٣ ص ١٣٫٥×١٩ سم
ث ٩٫٥ قروش

١٨ ــ احزان نوح

تاليف شوقى عبد الحكيم ، الدار القومية ١٧×٢٤ سم (مذاهب وشخصيات)
ث ١٥ قرشا

١٩ ــ ادجار الان بو (دراسة ونماذج من قصصه)

دراسة وترجمة دكتور أمين روفائيل ، مراجعة دكتور يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ١١٨ ص ١٤×١٩ سم
ث ٣٩ قرشا

٢٠ ــ تمثيليات الفصل الواحد (لمسرح الهواة)

جمع ماكس هـ. فولر ، ترجمة كامل صليب ومحمد عوض الله ، مراجعة حسن محمود ، مكتبة الانجلو المصرية بالأشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٤٧٩ ص ١٤×١٩ سم
ث ٢٢٫٥ قرشا

٢١ ــ صدى ونور ودموع

تاليف حسن كامل الصيرفى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ٣١٤ ص ١٤×١٩ سم

٢٢ ــ شرق وغرب نحو تفاهم متبادل

تاليف چورج فراديه ، ترجمه محمد ابراهيم زكى ، مراجعة دكتور سلامة حماد ، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ١٠٧ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٢ قرشا

٢٣ ــ الحرب والمدنية

تاليف أرنولد توينبى ، ترجمة احمد محمود سليمان ، مراجعةالدكتور محمد انيس ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ١٨٩ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٣ قرشا

٢٤ ــ استعباد المرأة

تاليف على محمد على ، الدار القومية للطباعة والنشر (من الشرق والغرب) ١٥٦ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٨ قرشا

٢٥ ــ كنوز العلم فى اسئلة واجوبة

تاليف وليم فرجارا ، ترجمة وتقديم الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد صابر سليم ، دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسه فرانكلين ، ٤٢٤ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

٢٦ ــ عجائب العلوم

● ترجمه عزيز محمد حبيب ، مراجعة محمد عاطف البرقوقى والدكتور محمد خليفة بركات ، المؤسسة العربية الحديثة بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب، ٢٩٣ص ١٧×٢٤ سم .
ث ٢٦٫٥ قرشا

٢٧ ـ مذكرات عن الاحصاء فى خدمه التخطيط

تاليف الدكتور حسن محمد حسين ، دار النهضه العربية ، ١٤٣ ص ١٧×٢٤ سم

٢٨ ـ مسرحيات لوركا

تاليف فدريكوغرسيه لوركا ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار النهضة العربيه ، ٢٢٤ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٤٠ قرشا

٢٩ ـ الطلب الفعلى

تاليف الدكتور رفعت المحجوب ، دار النهضه العربيه ، ٣٤٧ ص ١٧×٢٤ سم

٣٠ ـ اسس علم الاجتماع

تاليف الدكتور حسن شحاتة سعفان ، دار النهضة العربية، ٣٤٢ ص ١٧×٢٤سم طبعة سادسة .

٣١ ـ المالية العامة (جزء اول .. النفقات العامة)

تاليف الدكتور رفعت المحجوب، دار النهضة العربية ، ١٥٧ ص ١٧×٢٤ سم .

٣٢ ـ المثل السياسية

تاليف دليل بيزنز، ترجمه لويس اسكندر، مراجعة الدكتور محمد انيس،مؤسسه سجل العرب بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ٣٩٥ ص ١٧×٢٤ سم

ث ٥ر٢٥ قرشا

٣٣ ـ علم الحيوان (الجزء الاول)

تاليف باركروهاسويل ، ترجمة دكتور فؤاد خليل وآخرين ، مراجعة دكتود كامل منصور ، مكتبة الانجلو المصريه بالاشتراك مع مشروع الالف كتاب ، ٥٥٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥ر١٢٢ قرشا

٣٤ ـ حول العالم فى ثمانين يوما

تاليف جول فيرن ، ترجمة احمد محمد رضا وأحمد صفى الدين خاطر ، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الحميد الدواخلى ، مؤسسة التضامن العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب ، ٣٣٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

٣٥ ـ ازمه الحرية فى عالمنا

تاليف خالد محمد خالد ، مكتبة وهبه ، ٢٨١ ص ١٤×١٩ سم

ث ٢٠ قرشا

٣٦ ـ التجارة الدولية

تاليف سعيد النجار ، دار النهضه العربية، ٤١٥ ص ١٧×٢٤ سم (طبعة ثانية)

٣٧ ـ التجارة الدولية

تاليف الدكتور صلاح الدين نامق ، لجنة البيان العربى ، ٦٦٢ ص ١٧×٢٤ سم
ث ١٠٠ قرشا

٣٨ ـ الحياد وعدم الانحياز

اعداد لورنس مارتن ، تعريب وتعليق خيرى حماد ، الدار القوميه للطباعه والنشر (كتب سياسية) ، ٣٥٨ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٥٠ قرشا

٣٩ ـ شواين‌لاى وقفزة الصين للامام

تاليف محيى الدين فوزى وابراهيم عارف كيره ، الدار القومية للطباعة والنشر(مذاهب وشخصيات) ١٦٠ ص ١٧×٢٤ سم
ث ٢٠ قرشا

٤٠ ـ مبادىء الاقتصاد

تاليف سعيد النجار ، دار النهضه العربية، ٥٥٤ ص ١٧×٢٤ سم .

٤١ ـ نظرية الاعتداء المادى فى القانون الادارى

تاليف الدكتور مصطفى كيرة ، دار النهضة العربية ، ٣٥٤ ص ١٧×٢٤ سم

٤٢ ـ صناعة النقل

تاليف الدكتور احمد ابو اسماعيل ، دار النهضة العربية ، ٣٧٣ ص ١٧×٢٤ سم

خطة مجلة الكتاب العربى

(١) تناول المؤلفات العربية الحديثة والقريبة العهد فى الظهور فى مختلف انحاء العالم العربى بالتحليل الذى يجلو موضوعها ويحلل فكرتها ويزن قيمتها .

(٢) تتناول المجلة من الحين الى الحين بعض الكتب القديمة احياء لتراثنا الادبى ولربط الحاضر بالماضى والتعريف بمدى ما بلغه المؤلفون المتقدمون من المستوى الثقافى وتأثيرهم فى الحضارة .

(٣) ان يعهد فى الكتابة عن المؤلفات حديثها وقديمها الى كتاب تراعى ناحية تخصصهم فى الموضوعات التى يسند اليهم تناولها جهد الامكان ليكون لاحكامهم قيمتها ولتقديراتهم وزنها وليفيد القارىء من ملحوظاتهم ويهتدى بتحليلهم .

(٤) ان يخصص قسم من المجلة للحديث عن المجلات العربية المعاصرة يشار فيه بوجه خاص الى الموضوعات الهامة التى ظهرت بها لاستيفاء بيان تيارات الفكر المعاصر .

(٥) وارى ان يكون فى صدر كل عدد من المجلة فصل افتتاحى يتناول كتابا له اهمية خاصة او بعض الكتب معا التى تمثل نزعة جديدة او اتجاها هاما .

(٦) ان يكون فى كل عدد كلمة موجزة عن نواحى الثقافة المختلفة التى تمت بأسباب الى رسالة المجلة .

(٧) ان تعنى المجلة بالكتابة عن الكتب التى تترجم الى اللغة العربية لبيان قيمتها وتعرف الأحوال الثقافية والحركات الفكرية فى شتى انحاء العالم .

(٨) ولما كانت المجلة مهما اتسع حجمها وكثرت صفحاتها لا تستطيع استيفاء عرض جميع الكتب التى تخرجها المطابع لذلك لابد من اختيار ما هو اهم وايثاره على ما هو اقل اهمية ، فالى جانب الجزء الأكبر من المجلة الخاص بعرض الكتب الهامة ونقدها تخصص بضع صفحات للتعريف الموجز بسائر الكتب يذكر فيه موضوعها ومكان طبعها وعدد صفحاتها مع ذكر ما تيسر من المعلومات عن مؤلفها وقيمتها بوجه عام حتى يمكن الاستفادة منها .

(٩) العمل على الاتصال بدور النشر فى مختلف نواحى العالم العربى للحصول على الكتب التى تصدرها للتنويه بها وتقديمها للقراء .

(١٠) أن يخصص بعض الصفحات للاعلانات عن الكتب .

(١١) العمل على تعرف العقبات القائمة فى طريق توزيع الكتاب العربى على اوسع نطاق تأييدا للروابط الثقافية وتشجيعا للمؤلفين ودور النشر .

(١٢) ستتحرى المجلة فى عرضها للكتب ونقدها لها الموضوعية التامة والبناء والتوجيه لا الهدم وتثبيط الهمم .

مطبعة مصر